البنيوية

تعريف... وتطبيق

فاروق هاشم

ليست البنيوية وليدة اليوم ، وان كانت تأخذ الكثير من الاهتمام في الوقت الحاضر، نظرا لتشعب مباحثها وتنوع شروحها • ومع ذلك ، فانها لم تكتسب مقومات الفلسفة المتكاملة بعد ، كما هي الحال بالنسبة للنظريات والايديولوجيات المعروفة على نطاق واسع ، مثل الماركسية والفرويدية ••• الخ • أي أن مايطلق على البنيوية اليوم لايمكن أن يكون مذهبا فلسفيا ، فهذا لم يتشكل بعد، أو لم تظهر الخواص الاساسية التي تمنحه هذا اللقب• وبالامكان، كما يفعل كثيرون حتى في الغرب ، أن نطلق على البنيوية اسم المنهج ، أو **المناهج البنيوية** • وصيغة الجمع قد تكون أكثر دلالة من الاسم الاول اذا أخذنا بالحسبان **المجالات** المتعددة التي أخذت البنيوية تغزوها : مثل **علم اللغة** وعلم **الانتربولوجيا** وعلم **التحليل النفسي** و**التاريخ الثقافي** وكذلك في مجالات التربية **والتعليم والفنون** و **والنشاطات الادبية** وعلى الاخص **النقد الادبي** • ويغامر آخرون ويعتبرون **البنيوية** وكأنها شرح لكافة الاصعدة والنشاطات البشرية •**فهي تتدخل في كل شيء** ، كما رأينا من مشاركتها في ميدان **الثقافة الانسانية** ككل ، وان كانت **تعارض الفلسفات** الاخرى ، والتي كانت تهتم بالذات وبالانسان وطالما مجدت هذين العنصرين •••

ولكن ، ماهي « البنيوية » بالضبط ؟ انها الترجمة العربية الاقرب دقة للفظ الافرنسي وهو
Le Stnuctura Lism

وهنا يحدث **الالتباس** •فبعض الكتاب والمترجمين عندنا يحلو لهم التلاعب في هذه التسمية ، أو يجدون لها صيغ تحاول الاقتراب من التسمية الاصلية • فهناك تسمية « **البنيانية** » و« **البنائية** » وحتى الكاتب والمثقف الكبير « **محمود أمين العالم** » لايوافق في كتابه « **البحث عن أوروبا** » على تسمية العرب لهذا الاتجاه باسم البنيوية، بل يطلق اسم «**الهيكلية**» عليها ! ويعدد القائمين على شرحها وتنظيرها والداعين لها ويعتمد على رولان بارت بقوله : **انها ليست مدرسة وليست حركة ••• بل هي نشاط فكري يعكف على العمل الادبي أو أي تعبير انساني آخر وقد استبدلت كلمة « لماذا » بكلمة « كيف » فمثلا : ليس المهم رسالة الكاتب فيما يكتب وانما المهم « كيف » يكتب • فالاهتمام ليس بحقيقة العمل الادبي وانما الاهتمام بتركيب هذه الحقيقة وبشكل بنائها** •

ان كلمة Structure لها عدة معان ، وان كانت متقاربة ، فهي تعني **بالافرنسية هيئة البنيان** ، وبالنسبة للجسم البشري « **البنية أو الخلية** » **ومن الناحية المعنوية « ترتيب ، تركيب ، نظام »** ومن هنا ترافقها كلمة النسق أو الانساق لدى التكلم عنها بالعربية • وهي في الاصل مشتقه من الفعل اللاتيني Struore الذي يعني « يبني » يشيد • وهناك تعريف جامع أورده لالاند في معجمه الفلسفي، وهو يتحدث عن البنية : « **ان البنية هي كل مكون من ظواهر متماسكة ، يتوقف كل منها على ماعداه ولا يمكنه أن يكون ماهو الا بفضل علاقته بما عداه** » • (١)

« ١ »

أما كلود **ليفي شتراوس** ولعله أول من ابتدعهذه التسمية،فيعرفها بقوله ان البنية«**تتألف من عناصر يكونمن شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولا في باقي العناصر الاخرى ٠٠٠** » وان البنية « **٠٠٠ لاتملك مضمونا متمايزا وانما هي نفسها المضمون ، مدرجـــا داخل تنظيم منطقي منظور اليه باعتباره خاصة للواقع** » «٢»

فهو بهذايزيد اللبس الذيقد يظهر عندما يخلط المرء بين البنيوية والصياغة الصورية ٠

وقد بدأت « البنيوية » تتربع على عرش النقاشـات الدائرة حول العلوم والفلسفة وبقية النشاطات الانسانية منذ الستينات ، بل ويحدد الدكتور زكريا ابراهيم في كتابه الهام الذي كتبه في الربـــاط ، المغرب ، ١٩٧٦ ، بعنوان « **مشكلة البنية** » أو « **أضواء على البنيوية** » «٣» أن البنية صاحبة الجلالة ، **سيدة العلم والفلسفة** رقم واحد ، بـــلا منازع ، ابتداء من سنـة ١٩٦٦ حتى اليوم ، وربمـــا في المستقبل القريب أو البعيد أيضا !

وقد سبقه أحد الكتاب في مصر ، وهو ابراهيم ناصر ، وذكر في مجلة الهلال القاهرية ، في عددين متتالين، «٤» وقد وقد بين المقال الاول ، الـــذي أعطاه اسم « **البنيانيـــة** » **مخاطرة فكرية جديدة ٠**» ويعترف فينهايةالمقال بأننا لانزال **نجهل** عنها الكثير ، الا أنه يقدم تعاريف شاملة لابأس بهـا بين في المقـــال الاول ، الـــذي أعطاه اسم « **البنيانيـــة :** مثل : « **ان هذا المنهج ينطلق من افتراض علمي بسيط هو أن لكل شيء في الوجود ـ بناء ـ أو ـ بنية ـ ، وأن هـذا البناء أو هـــذه البنيـة يتكون من اجزاء لهـــا مواقـــع محـــددة وبينها عـــلاقـــات ، تضـامن أو تنـــافر أو تباين أو تعارض أو تناقض ، وان دراسة هذه الاجزاء في ذاتها وفي علاقاتها المتبادلة يوفر معرفة صحيحة ووفيرة عن وظيفتها ، وبالتالي يحقق تفسيرها تاريخا واجتماعيـــا ، ويجعل من الممكن تفسيرها باعادة ترتيب علاقاتها وباعادة صياغة وظيفتها ٠** »

هذا ويمكن تطبيق هذا المنهج في دراسة شخصيـــة عظيمة من زاوية بنيانها أو « **بنيتها** » وكذلك الامر صحيح أيضا عندما ندرس أي عضو فسيولوجي أو جهاز عضوي أو مجتمع ، أو ثقافة أو بلورة أو خلية ، أو ذرة ، أو آلة ٠

وفي المقال الثاني ، بعنوان « **هـل يموت الانســان ؟ العلاقة بين الماركسية والبنيانية** » **يتابع** ابراهيم عامرتفسير المنهج الذي استقطب على اهتمام الكثيرين منـــذ الستينات وتزداد اهميته يوما بعد يوم٠وفيه يظهر التحديد بانه وفقا للبنيوية فان العنصر الاساسي ليس الوجود،وانما «**العلاقة**» فالعلاقة طبقا لهذا المنهج لها **أولوية على الوجود ٠** وأولوية الكل على الاجزاء ٠ فالعنصر أو الوحدة أو الجزء لا معنى له ولا دافع لهالا بفضل شبكة العلاقات التي له ٠٠٠ وكذلك فان العناصر والوحدات والاجزاء لايمكــن تعريفهــــا الا بعلاقاتها ٠

وعلى هذا الاساس يمكن انكار ذاتية الانســـان ، أو على الاقل انكار أنه سيد الكون ! وسنذكر **بعد قليل هذه** الفكرة لدى معرفة آراء « **ميشيل فوكوه** » ، الذي يجزم بان الانسان لا يمثل ألبتة أقدم ولا أدوم مشكلـــة طرحت على المعرفة البشرية ٠٠٠ وان الانسان ، كما يدل علم الآثار ، يرجع الى عهد حديث ، وأنه قد يصل ـ في مستقبل قريب ـ الى نهايته المحتومة !

وليست البنية أو الانساق كلاما يلقى على عواهنه ٠ فقد حدد أحد أقطاب هذه المدرســة ، وهو عـــالم النفس السويسري « جان بياجيه » «٥» تعريفا للنسق والذي هـــو بنية : « **ان البنية نسق من التحولات له قوانينه الخاصـة باعتباره نسقا في مقابل الخصائص المميزة للعناصر** » ٠

ولكل بنية خصائص ثلاث :

١ ـ الكلمة : La totalite بمعنى أن البنيـة تتشكل من عناصر ولكن هذه العناصر تخضع لقوانين تميز المجموعة كمجموعة ٠

٢ ـ التحولات Trrnsformotinc وهي بمعنى أن المجاميع الكلية تنطوي على ديناميكية ذاتيه تتألفمن سلسلة من التغيرات الباطنة التيتحدث داخل النسق٠ويقرر بياجيه باننا اذا اعتبرنا أن ميزة الكليات (الجمـلات) البنائيـــة تتمسك بقوانين تركيبها تكون عندئذ بناءة بطبيعتها ، **أي** تخضع لقوانينها الداخلية دون التوقف على أية عوامـــل خارجية ٠

٣ ـ الضبط الذاتي Lautoreglage وهـذه الميزة الاساسية الثالثة للبنيات هي انها تستطيع ان تضبط نفسها٠ وهذا الضبط الذاتي يؤدي الى الحفاظ عليها ، والى نوع من الانغلاق وهذا يعني أن التحولات اللازمة لبنية معينـة لاتؤدي الى خارج حدودها ولكنها لاتولد الا عناصر تنتمي دائما الى البنية وتحافظ على قوانينها ٠

لعلنا أطلنا في التعريف بالبنيوية وأقوال أشهر القائمين على شرحها وتنظيرها أو الترويج لها والتبشير بها ٠

وقد بقيت الفكرة الثانية في البحث ، أو الوجه الاخر للصورة ٠٠٠ ألا وهي تطبيق البنيوية في المجـالات التي اقترنت ٠ باسمها ٠

وأولى هذه التطبيقات ماحدث في **اللغة والنقد والادب٠** وبالنسبة للنقد ، يرتبط هذا التيار بما يعرف في فرنسا اليوم باسم « **النقد الجديد** » على غرار الطريقة التي نعرف بها « **الرواية الجديدة** » و « **المسرح الجديد** » وهناك مبـدأ مشترك يلتزم به النقاد الجدد وهو : الوحدة ، الشمـول ، التماسك ٠ «٦»

وقد يقال عن هذا النوع من النقد أنه «**نقد للمعاني**» ٠٠٠ ولكنه يهدف الى الالمام بالعمل الفني في مجموعـة ، أي في وحدته وتماسكه في آن واحـد ٠ انه نقـد يختص بالمجموعات لا بالتفاصيل ٠

والنقد البنيوي يبحث عن المعاني الداخلية ، وهـو يحاول أن يستشف الابنية الكامنة فيها ٠ ويحـدد رولان بارت ، أحد أعمدة النقد البنائي ، أن دراسة المعنى تغني عن دراسة العمل نفسـه ٠

« ماالادب الا كلام، أي مجموعة منتظمة من العلاقات ولا تكمن كينونته في رسالتـه ، بل في هـذه المجموعـة المنتظمة ٠٠»

ويعتبر بارت ، الذي قام بالتدريس في الاسكندرية وبوخارست والولايات المتحدة،ان التجربة الوحيدة الخلاقة، التجربة الجذرية حقا،هي تلك التي تتعرض للبناء الحقيقي للمجتمع أي لبنائه السياسي وأهم مؤلفات بارت هو كتابه « **عن راسينى** » والذي نشره عام ١٩٦٣ ٠ ويعتمد على فكرة أساسية ، مفادها أنه على الناقد ان يضع نفسه في عـالم راسين المأساوي ، ثم يحاول أن يصف سكانه ٠ فالمأساة، كما يعتقد ، يمكن أن تعالج على أساس أنها مجموعة منتظمة من الوحدات والوظائف ٠ فهي بهذا المعنى « بنيوية » **من حيث** المضمون وفي نفس الوقت فهى « **تحليلية** » من حيث الشكل «**لانه خيل أن التحليل النفسي هو اللغة الوحيدة التي تبدي استعدادا لتلقي خوف العالم ٠**»

وبعمله هذا ، فقد رسم للكـاتب المسرحي راسين صورة متكاملة متعددة الوجوه والابعاد ٠

ومن كتب رولان بارت الاخرى الهامة ، واحد بعنوان « **درجة الصفر في الكتابة** » «٧» ويذكر أن تغييرا هائلا قد طرأ على الادب ، منذ مايقرب من مائة عام ٠ فقد تحـول الكتاب أنفسهم الى نقاد ٠ واكثر من ذلك ، فقد تحدثوا في كثير من الاحيان عن الظروف التي تنشأ فيهـا مؤلفاتهم ٠ لم يعد هناك اليوم شعراء أو كتاب روائيون ، لم يعد هناك سوى الكتابة ٠ فقد أصبح الناقد كاتبا هو الاخر ٠ ومـا الكاتب سوى ذلك الشخص الذي يجعل من اللغة مشكلة ، مشكلة يحس **بصحتها ٠ ثم يقرر في فصل هام بعنوان « ماهي الكتابة ؟ » ان أفق اللغة وعمودية الاسلوب يرسمـان اذاً** بعنوان«**العلاقة النقدية**»نشرته دار جاليمار عام ١٩٧٠«٨» **للكاتب طبيعة ، لانه لايختار هذه ولا ذاك٠اللغة تعمل عمل قوة سلبية ، الحد الاولي للمكـن ، والاسلوب هو ضرورة تربط مزاج الكاتب بلسانه ٠ »**

وقد تعرض بارت لهجوم شديد ، من انصار النقـد القديم والجديد على السواء ، نظرا للافكار الجديـدة والمبتكرة التي تنم ـ كما تقول الدكتورة سامية أحمـد أسعد ـ عن فهم دقيق لطبيعة النقد والادب ، علـى ضوء التغيرات العميقة التي طرأت على الثقافة عامة ٠ وتقتبس **قولا هاما له :**

« ما النقد سوى لحظة من لحظات ذلك التاريخ الذي ندخل فيه ويقودنا الى الوحدة ، الى حقيقة الكتابة ٠ »

وهناك اليوم في فرنسا ناقد آخر له شهرة تكاد تصل الى شهرة بارت وهو « **جان ستاروبنسكي** » ، وله كتاب هام بعنوان « **العلاقة النقدية** » نشرته دار جاليمار عـام ١٩٧٠

« ٨ »

والمجال الاخر الذي احرزت فيه البنوية قصب السبق هومجال اللغة والدراسات اللغويـة ٠ ويعتبر العلامـة السويسرية فرديناند دوسوسير (١٨٥٧ ـ ١٩١٣) الاب

الحقيقي للحركة البنوية الحديثة المختصة في مجال **اللسانيات**. وقد نشرت معظم اعماله بعد وفاته ، ومنها محاضرات في « **علم اللغة** » عام ١٩١٦ ، مع أن دوسوسير لم يستعمل كلمة « بنية » ابدا ، ولكنه استخدم كلمة « **نسق** » أو « **نظام** » ، ومع ذلك فان الفضل الاكبر يعود اليه لظهور « **المنهج البنوي** » في دراسة الظاهرة اللغوية . « ٩ » . وقد اعتبرت محاولته هذه فاتحة عهد جديد في مضمار العلوم « **اللسانية** » بصورة خاصة والعلوم « **الانسانية** » بصورة عامة . ولكن النشاط الفعلي لتطبيق البنوية في مجال اللغة لم يظهر الى حيز الوجود الا في بداية الثلاثينات من هذا القرن . وقد أصدرت كل من ياكوبسون وكارشفسكي وتربتسكوي بيانا في المؤتمر الاول للغويين السلاف الذي عقد في براغ ١٩٢٩ ، وقد استخدمت فيه كلمة « بنية » بالمعنى الذي يستعمل في هذه الايام ، ودعوا الى المنهج البنيوي بوصفه : « **منهجا علميا صالحا لاكتشاف قوانين بنية النظم اللغوية وتطويرها** . »

وتنشط في الولايات المتحدة الامريكية حركة دراسة اللغويات البنيوية ، وهناك فضل للدراسات الانتربولوجية ، ذلك العلم الذي سار جنبا الى جنب مع تطور اللغويات الوصفية . والتيار الذي ساد اللغويات الامريكية قرابة عشرين عاما ، حتى الخمسينات من هذا القرن ، تزعمه بلومفيلد (١٨٨٧ ــ ١٩٤٩) مؤلف كتاب « **اللغة** »، والذي قال عن دسوسير بأنه كان أول من زود علم اللغة البشرية بأسس نظرية سليمة . وهناك الان دراسات العالم اللغوي المعاصر تشومسكي (المولود سنة ١٩٢٨) الذي تطلق على نظريته في اللغة اسم « **البنيوية التحولية** »، وان كان اهتمامه ينصب أصلا على الطابع الابداعي للغة .

ووفقا لتحديدات دوسوسير ، فان مهمة علم اللغة هي :

١ ــ وصف وتاريخ كل اللغات التي يستطيع اليها سبيلا .

٢ ــ البحث عن القوى الدائمة الكلية التي تعمل في كل اللغات .

وهناك مستويات ثلاثة للغة :

١ ــ اللسان ، وهو منظومة كل اللغات

٢ ــ اللغة ، وهي منظومة خاصة بمجتمع

٣ ــ الكلام ، الذي نتلفظ به .

ويمكن دراسة اللغة كموضوع منفصل بفضل هذه المستويات الثلاثة .

ويحدد اللغة على أساس أنها منظومة علاقات ، الجوهري فيها هو فقط اتحاد المعنى والصورة السمعية . ومجموعة العلاقات هذه يمكن تحليلها علميا .

ولدى دراسة أية لغة ، فان أول شيء يجب الالتزام به هو العناية بأصالتها الحقيقية ، مع محاولة تعيين مايخصها داخليا . لان «**اللغة منظومة لاتعرف سوى نظامها الخاص**». وهي مستقلة عن الكتابة استقلالا كبيرا رغم ارتباطها بالاشتقاق ، وهو يقول : الكتابة انها بصر اللغة .

ويرى دوسوسير ان بنية المقاطع في سلسلة المنطوق تشبه بنية وحدة لا يمكن ارجاعها الى شيء آخر . ويعتبرها مجالا لفظيا حقيقيا يحده :

١ ــ الصوت المفتوح والصوت المغلق ، مثل

٢ ــ حد للمقاطع ونقطة يندرج فيها الحرف الصوت للمقطع .

٣ ــ تتابع انغلاقات وانفتاحات .

وعمل دوسوسير أيضا على تحديد موضوع علم اللغة، بعد أن نظر الى شتى العوامل **البيولوجية ، والفيزيقية والسيكولوجية ، والاجتماعية ، والتاريخية والجمالية والعلمية** ... التي تتداخل وتتشابك . ثم ميز بين « **اللغويات الداخلية** » و « **اللغويات الخارجية** »، والاخيرة تعني دراسة العلاقات القائمة بين اللغة من جهة وبين الدوائر المؤثرة عليها ، **كالحضارة والتاريخ السياسي ، وعلم النفس** .

وأهم ما في الامر أن دوسوسير يشبه اللغة **بلعبة الشطرنج**، وهذا التشبيه يؤكد أولا أن اللغة « نظام » أو « نسق » له قواعده الخاصة • ومكونات هذا النظام أو النسق مترابطة فيما بينها **ككل متماسك** •

ولولا الاطالة ، لسمحنا لانفسنا بالاسترسال في معرفة ولو الشيء القليل عن باقي عباقرة البحث اللغوي البنيوي في العالم ، ولكننا نجد أن أحسن تعريف لاهمية هذا الاتجاه الجديد هو القول بأن علم القواعد التقليدي قد مات، ونلجأ لقول عالم لغوي ذائع الصيت أيضا وهو أوتو جسبرسن : « **يجب أن تعنى القواعد بالاصوات أولا وبعد ذلك بالحروف** • » «١٠»

وكثيرا ما يرتبط اسم البنيوية باسم كلود ليفي شتراوس (المولود سنة ١٩٠٨) ، الذي أحدثت دراساته وأبحاثه النظرية والميدانية تغييرا جذريا• في مضمار المعرفة ومجال العلوم الانسانية • وتتلخص — في ايجاز شديد — نظريته في ان « **البنية** » **تمثل جانبا من** « **الواقع** » ولكن ليس « **الواقع التجريبي** » الذي نستمده من الملاحظة السطحيه البحتة ، ولكنه هو الواقع العلمي — غير الظاهر — الذي لابد من الكشف عنه فيما وراء **المعطيات المباشرة** فنظرية المعرفة لديه « **الابستمولوجيا** » هو انها تبحث عن تلك « **البنية** » التحتية ، التي لا يمكن الوصول اليها الا بفضل عملية بناء ، أو انشاء ، استنباطي لبعض النماذج المجردة • فهي تبحث اذن فيما وراء **العلاقات العينية** ، أو الظاهرة • ويجد أن مهمته هي بناء العالم الاجتماعي على أسس منهجية متينة، وعنده أن مفهوم « **البنية الاجتماعية** » لا ينصب على الواقع التجريبي ، **بل على** « **النماذج** » **التي يتم انشاؤها انطلاقا من ذلك الواقع** • ويعتبر أن روسو وماركس وفرويد الروائد الاوائل للعلوم الانسانية، الذين تجاوزوا المستوى السطحي للواقع وعملوا على **اكتشاف العلاقات الخفية الكامنة فيها وراء المعطيات التجريبية المباشرة** •

وقد تمت ترجمة أحد كتب شتراوس الى العربية «١١» وأظن أن هذا هو الكتاب الوحيد الذي حظيت به مكتبتنا • وفي فصل عقده جان ماري أو زياس ، تحت عنوان « **البنيوية بالذات — كلود ليفي شتراوس** » ، يفتتحه بقوله **لقد تغير وجه الثقافة منذ أن ظهرت مؤلفات ليفي — شتراوس** •

وله العديد من الكتب الهامة • فبالاضافة الى المذكور **سالفا** ، نقرأ عن « حياة النامبيكفار العائلية والاجتماعية » وكذلك « **المدارات الحزينة** » ، وهي ترجمة لحياته غنية بالوثائق الانثربولوجية • وهناك أطروحته الكبيرة « **حول البنى الاولية للقرابة** »• الصادرة عام ١٩٤٩ وقد أثار فيها مسألة الطوطمية ، بالاضافة لمسائل أخرى • وفي عام ١٩٦٢ ألحقها بدراسة صغير بعنوان « الطوطمية اليوم » •

أما كتابه النظري الاخر فقد كان بعنوان « **الفكر المتوحش** » الذي كان له صدى كبيراً مع « الانثربولوجيا البنوية » • وله كتاب — رائع — بعنوان « اسطوريات » وهو مجلدان ، ويستكشف ، فيه الاساطير الهندية في امريكا الجنوبية •

وقد اهتم بقبائل الهنود المعروفة باسم « البورورو » وقد زارها لعدة سنوات • ويعطينا الايحاء بأننا أردنا مثلا أن نفهم معنى الحياة الاجتماعية عند هذه القبيلة في قراهم وجب علينا ادراك أن مختلف الاسر مرتبة وفق محاور عشائرية ، زمر رئيسية ، وتابعة وفق الوان • فيلتزم عدة جدي ذهن منطلق ، طابع البنيوية • «١٢»••• حينئذ ، تكتشف المجتمعات « البدائية » غاية في التعقيد ، لكن هذا التعقيد ينمي النشاط الفكري على مستوى عال جدا •

وفي مجال الثقافة والتاريخ ، نجد مؤلفات اكتوسر وفوكس قد ذاعت شهرتها وترجمت الى لغات عدة يحاول الاول دمج الماركسية بالبنيوية «١٣» ومن خلال قراءته لماركس وضع طابع علمي لأيديولوجي، وهو يعتقد أنه قد منح الماركسية النظرية « الاسمولوجية » التي كانت تفتقر اليها وقد قام بمراحل عدة في دراسته، او لها تخليص الماركسيه من براثن الجدل الهيجلي وكما يذكر الدكتور زكريا ابراهيم ثم اكتشاف الدور الابستمولوجي الذي لعبته فكرة البنية في تفكير ماركس العلمي خلال المرحلة الاخيرة في تطوره العقلي • وهو يعتقد أن الماركسية لاتزال ناقصة ، اذ أن الماركسية المتبذلة قد جعلت في فكر ماركس غموضا ، وأنه ينبغي قراءة ماركس على نحو ما كان فرويد يقرأ الحقيقة وسط خليط أحلام مرضاه وأعراض جنونهم ••• لقد جعل أكتوسر الواقع في نظر الماركسية بنيويا وليس ديالكتيكيا ••

أما مايعرف « **بالبنوية التاريخية** » فهي من اختصاص ميشيل فوكو « ١٤» وبنيوتيه تعتمد وتتركز حول تاريخ الافكار ، وهو يحول هذا التاريخ نفسه الى نظريـــــة في « البنيات الثقافية » وله كتاب بعنوان « **تاريـخ الجنون** » الذي صدر سنة ١٩٦١ ، « تاريـخ العيـــادة » ١٩٦٣ ، « **الالفاظ والاشياء** » **١٩٦٦ ، و اركيوجيا المعرفة** » سنة ١٩٦٩ ، واخر كتاب له ظهر عام ١٩٧١ ، بعنوان « **نظام المقال** » •

وتعتمد بنيوية فوكو على معادلة وهي :

البنية = اللاشعور = الرمز = النموذج = اللغة

وهو يعتبر أن الجنون ليس كيانـــا مستقلا ، بـــل علاقة بوجودة في صميم الواقع الاجتماعي • وليس العقـــل والجنون واقعتين مستقلتين ، بل هما منطقتان • حدودهما المجتمع بنفسه •

وهذه الظاهرة تستدعي وضع تاريخ بنيوي للافكار والانظمة والاجراءات القانونيـة والبوليسيـــة والمفاهيم العلمية المتصلة بها •.وفي كتاب « **الكلمـــات والاشيــاء** » يبشر فوكو نوعا ما سموت الانســـان في علوم الانســـان ، وهو يفعل ذلك ليستبدل « **الذات** » **النفسيــة** التاريخيـــة التي تحمل تاريخيا بمعرفة كما يقوله لسان العلم عنا في البنية المحركة له •

وبعد ••• هل وضح التطبيق البنيوي ، ولو بعض الشيء ؟ أظن أن هذا العرض السريع يلزمه شيئان :

١ ــ معرفة البنيوية عند آخرين ، مثل « لاكــــان » وأضرابه ، وكذلك في التحليل النفسي والانشطة الفنية •

٢ ــ معرفة ما يقوم به الدكتور كمال أبو ديب في تطبيق هذا المنهج الجديد والممتع والذي ينم عن ثقافة راقيـــة ممتازة ، على تراثنا الادبي ، والشعري منه خاصة ، وعلى الشعر العربي الحديث كما ظهر في مقـالات له في الملحـــق الثقافي للثورة ومجلة المعرفة السورية •

ولكن الوقت والمجال لايسمحان ، ولعل الانتظاريكون اجدى للاحاطة بالمزيد من هذه المقالات الجادة • ولا يسعني في هذا المجال الا وان أهتف مع الدكتور زكريا ابراهيم

« في البدء كانت البنية ! »

حمص ــ فاروق هاشم

اشارات ومصادر

١ ــ نقلا عن في المنهج البنيوي ، محمو الراوي ، مجلة الكاتب المصرية ، العدد ٢٠٠ ، نوفمر ١٩٧٧ •

٢ ــ نفس المصدر •

٣ ــ وهو رقم ٨ في مجموعــة « مشكلات فلسفيــة » التي قدمهـا الدكتور زكريا ابراهيم • مكتبة مصر •

٤ ــ **مجلة الهلال ، عدد مارس ١٩٦٩ وعدد ٤ ابرايل ١٩٦٩** •

٥ ــ جان بياجيه « البنوية » ، مكتبة الفكر الجامعي ، منشورات عويدات ــ بيروت ، ١٩٧١ •

٦ ــ « **في الادب الفرنسي المعاصر** » د • سامية أحمـد أسعـد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ •

٧ ــ ترجم هذا الكتاب الى العربية بعنوان (**الكتابة في درجــة الصفر**) ، ترجمـــة نعيم الحمصي ، من منشورات وزارة الثقافـة ، دمشق ، ١٩٧٠ •

٨ ــ تمت ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية بعنوان « النقد والادب » ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم ومراجعة انطون مقدسي ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٦ •

٩ ــ يمكن الرجوع الى كتابين هامين لمعرفة البنيوية عند دوسوسير في كتاب زكريا ابراهيم السابق الذكر ، و « البنيوية » تاليف جان ماري أو زياس وآخرون • من منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢ •

١٠ ــ البنيوية ، جان ماري أو زياس •

١١ ــ الانتربولوجيا البنيوية ، كلود ليفي ــ شتراوس ، ترجمة د• مصطفى صالح ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٧ •

١٢ ــ البنيوية ، ص • ١٠٤ •

١٣ ــ له كتاب هام بعنوان « قراءة رأس المال » جزءان ، ترجمة تيسير شيخ الارض ، دمشق وزارة الثقافة •

١٤ ــ بالاضافة لكتاب الدكتور زكريــا ابراهيم وكتــاب « البنيوية » ، هناك مقال هام بعنوان : فوكو ••• السلطة والمعرفة ، د• فرنسوا زبال ، مجلة « الفكر العربي » العدد ٢ ، ١٩٧٨ •

اتجاهات حديثة في الشعر السعودي

محمد الشناوي

باديء ذي بدء ٠٠أرى انه لابد من كلمة حق تقال٠٠ وهي كلمة اعتذار يستحقها الادب السعودي بعامة والشعر على وجه الخصوص ـ واعتذارنا الذي نسوقه الآن بين يدي هذه الدراسة العجلى ، التي تحاول القــاء الضوء : على جانب من جوانب الادب العربي الحديث في السعودية ، مرده أولا وأخيرا الى نوع من التجني غير المقصود في أغلب الاحوال لحق بحملة الاقلام في تلك البقعة الشاسعة من وطننا العربي الاكبر التي توشك باتساعها أن تتحول الى قارة كاملة ٠٠ وقد أخذ ذلك التجني الذي نعنيه شكل الصمت الغريب ـ وأكاد أقول ـ المريب ـ عما سجلته اقلام الادباء السعوديين من نتاج فني ـ **شعرا كـان أو نثرا** ٠٠ وعلـى كثرة مـا أخرجت المطبعة العربية من دراسات نقدية، تناولت بالعرض والتحليل فنون الادب العربي الحديث في كل مكان ٠٠ فان هذا الادب السعودي ٠ ظل بعيدا عن دائرة الضوء ٠ بعيدا عن اهتمام الدارسين والمحللين من نقاد امة العرب وباحثيها، **الى عهد قريب** ٠

واحقاقا للحق أقول ٠٠ لقد كنت واحدا ممن جهلوا الكثير عن الادب السعودي ولقد ظللت ـ كغيري ـ أكاد لا أعرف الكثير عما يقدمه الوجدان السعودي من ادب في مختلف فنونه ، القديم منها والحديث ، حتى دعيت الى تدريس اللغة العربية وآدابها ـ استاذ غير متفرغ ـ بأكاديمية الفنون المصرية ٠٠ ووجدت نفسي ـ في احدى المحاضرات وجهـا لوجه امام هذه القضيــة التي طرحها طالب من ابنـــاء الجزيرة ٠٠ **قضية الجهل شبه المطبق ـ او التجاهــل ٠٠ عفويا كان أم متعمدا ـ بأدب السعودية ومثله ادب الجزيرة عموما ٠٠**

ولقد كان هذا الموقف الذي واجهتـه امــام طلبتي حافزا شخصيا ٠ دفعني الى الاهتمام ببحث كل ما يتصل بأدب السعودية ٠٠ والبحث في سبب تجاهل هذا الادب وضآلة حظه من العناية والاهتمام ـ **خارج حدود الجزيرة** ـ وباستثناء قلة قليلة من الشعراء السعوديين استطاعوا ـ **بجهود فردية** ـ ان يخرجوا بانتاجهم الادبي الى الوطن العربي ، فان الكثرة الساحقة من هؤلاء الشعراء ظلت قابعة في وطنها مستسلمة ـ عن كره او طواعية ـ **لستار التجاهل المفروض حولها في سائر انحاء الوطن العربي** ٠٠

ولقد أعانتني الرحلة التي قمت بها عام ١٩٧٤ الى السعودية على الاتصال المباشر بالادب السعودي فاذا بي امام

رافد يستحق الوقوف امامه ــ من روافد الادب العربي وخاصة في مجال الشعر ۰ واذا بهذا الادب السعودي تتضح معالمه الحقيقية امامي بشكل يدعوني الآن الى تقديم هذا الاعتذار المتواضع للاخوة ادباء السعودية ۰ **اقدمه في شكل دراسة سريعة ۰ ارجو ان تأخذ قريبا صورة دراسة موسعة للادب السعودي بكافة ألوانه وفنونه ۰۰ شعرا ــ تقليديا او حديثا ــ ومقالة وقصة ۰۰**

وعلى كثرة الفنون التي تناولها انتاج الادباء في السعودية ــ مؤخرا ــ فما يزال الشعر في مقدمة هذه الفنون لانه يرتكز في السعودية بالذات ــ وفي الجزيرة عموما ــ على تاريخ عريق من شعراء امة العرب ۰۰

اتجاهات الشعر السعودي

واذا كان الشعر ــ كما قيل ــ هو ديوان هذه الامة العربية ، فان الشعر السعودي بالذات يعبر عن هذه المقولة تعبيرا بالغ الصدق ۰۰ وخاصة اذا اتجهنا بالبحث والتحليل الى الشعر السياسي بالذات ۰۰ فمنذ عهد « **محمد بن سعود بن محمد بن مقرن** » الذي فتح بابه وقلبه للامام **محمد بن عبد الوهاب** ، اخذ الشعر السعودي على عاتقه حماية « **الدعوة** » من خصومها في اتجاهات ثلاثة محددة : هي الحديث بشكل مباشر عن « **عقيدة التوحيد** » و « **تحديد صفات كل من الكافر والمسلم** » ثم ۰۰ « **صورة الوضع السياسي والاجتماعي** » الذي ساد ذلك العصر ۰ وكان ابرز هذه الاتجاهات الثلاثة هو الحديث عن عقيدة التوحيد ۰ حديثا مباشرا تماما ۰ يخرج بالشعر الذي يعرض له عن المقاييس الجمالية للشعر بمقاييسه النقدية المتعارف عليها قديما وحديثا على السواء, واذا كان هناك ما يشفع لشعراء تلك الفترة في استسلامهم للمباشرة ــ وخروجهم على تقاليد الصورة الجمالية التي لايكون الشعر شعرا بدونها ، فلعل عذرهم الوحيد هو حماسهم البالغ في تلك الفترة من بداية « **الدعوة** » لتحديد معالمها في اذهان الناس, وحرصهم الشديد على تطهير « **العقيدة** » مما كان قد لحق بها من شوائب **وشبهات في عصور الضعف التي اجتازتها امة العرب** والمسلمون عامة ۰۰ وهذا الحماس « **العلمي** » لتحديد معالم « الدعوة » **اضطر الكثيرين من شعراء تلك الفترة الى استعمال العديد من الاصطلاحات والتعريفات المتعارف عليها بين علماء « الفقة » و « التوحيد » ونشرها بشكل واضح في كل ما نظموه من قصائد ۰ بصورة تكاد تخرج بشعر تلك المرحلة ــ من حياة الشعر السعودي ــ من نطاق الفن ، الى نطاق « المنظومات العلمية » التي عرفت في تاريخ الحياة العقلية العربية عموما ۰ كألفية بن مالك وغيرها من المنظومات التي قصد بها ناظموها جمع قواعد علم معين في بضعة ابيات يحفظها الدارسون لهذا العلم, دون ان يقصدوا بها بأية حال ــ ان تكون قريبة النسب بالشعر بمعناه الدقيق ۰۰**

الشعر الديني

وعلى كثرة من كتبوا الشعر في تلك المرحلة المبكرة ۰ من ابناء السعودية وخاصة في نجد يطالعنا اسمان كبيران هما «**سليمان بن سحمان**» والمولود في عام ١٨٥٢ م و« محمد **ابن عبد الله بن عثيمين** » المولود عام ١٨٥٣ م ۰

وباستقراء ماكتبه الرجلان ــ نجد ان **ابن سحمان** قد اخذ في شعره جانب الدفاع الحار عن « **العقيدة** » في اطارها الفكري والعقائدي البحث ۰ دفاعا يحدد به معالم « **الدعوة**» باطارها العام وتفاصيلها الدقيقة ۰ ويرد به في حماس بالغ على خصومها ۰

اما « **ابن عثيمين** » فقد اتجه في نتاجه الشعري الى مساندة الخط السياسي والدفاع عن « **النظام السياسي** »في وجه خصومه ۰

وقبل ابن عثيمين وابن سحمان ، يطالعنا اسم اخر من شعراء المرحلة التقليدية في حياة الشعر السعودي هو « **ابن مشرف** » الذي تتضح في انتاجه الملامح التي تحدد لنا صورة الشعر السعودي في طفولته المبكرة ، من دفاع عن «**العقيدة**» بشكل مباشر مثل قوله في التفرقة بين انواع الشرك :

والشرك نوعان ۰۰ فشرك أصغر
وضده ۰۰ هو الذي لا يغفر

فالاصغر ۰۰ الريا ۰۰ والتصنع
للخلق ۰۰ والسمعة ممن يسمع

ونسبة الشيء الى الاسباب
منخرط في سلك هذا الباب

نحو اصبت المال بالتكسب
أني لي الثروة ۰۰ لولا تعبي ؟ !

ومنه ايضا ۰۰ قول ۰۰ لو كان كذا
لكان هذا ۰۰ ولم يكن كذا

والحلف من ذاك ولو بمحترم
شرعا وكفر ، ان يكن بالكالصنم

فالحلف مطلق بغير الله
شرك بلا شك ولا اشتباه

وواضح من هذه الابيات انها نظم ، يعمد منشؤه الى تحديد « **مفاهيم** » عقائدية تحديدا مباشرا ـ لا مجال فيه لاية صورة جمالية مما لا يكون الشعر بدونها شعرا وهي تدفع الى الذهن فورا بمنظومة شهيرة في تاريخ الحياة العقلية لامة العرب ـ تلك هي «**ألفية بن مالك**» التي حوت قواعد النحو بشكل بالغ الدقة والانضباط ‥ بل ان أبيات « **ابن مشرف** » في تحديده لانواع الشرك ـ **الاصغر منها ‥ والاكبر** ـ جاءت من نفس البحر الذي نظم منه « **ابن مالك** » ألفيته في النحو والصرف ، وهو بحر الرجز ـ حين يقول في مطلعها :

كلامنا ‥ لفظ مفيد ‥ كأستقم

واسم وفعل ‥ ثم‥حرف‥الكلم

فاذا انتقلنا من « **ابن مشرف** » الى شاعر تقليدي كابن سحمان ـ الذي اخذ على عاتقه تخليص العقيدة من **(الشبهات)** نجده لا يفترق كثيرا عن سابقه ٠ من حيث المباشرة ومن حيث الافتقار في معظم ماكتب الى الصورة الجمالية ، لانه كان يكتب ما يكتبه من شعر دفاعا عن العقيدة ‥ وهجوما على خصومها الفكريين ، وبالايمان العقائدي في كشف نواحي الضعف في فكر هؤلاء الخصوم ‥ ولعل هذه الابيات التي يرد بها على اثنين من معاصريه ، ويفند معتقداتهما تعطى الدارس لشعر هذا الشاعر، صورة محددة الملامح لانتاجه عامة ‥ حيث يقول :

فقالا ‥ بان المصطفى سيي الورى
لفى قبره ‥ يشاهد من حضر

ويسمع من يدعو ويكشف كربه
اذا مادعي‥بل عنده النفع والضرر

ويأكل في القبر الشريف وانه
يصوم به ‥ بل قد يحج ويعتمر

واما حياة الانبيا في قبورهم
فما صح في تحقيقها النص والخبر

وليس دليلا انهم في قبورهم
يصلون ‥ لا والله ـ ذاك في الاثر

ولا انهم احيا ‥ كمثل حياتهم
بأبدانهم ‥ بل تلك اقوام من فجر

اما « **ابن عثيمين** » فقد اتجه الى الدفاع «**السياسي**» عن **الحكم** المساند للدعوة ـ فنجده يتجه بشعره غالبا الى مهاجمة الخصوم السياسيين للاسرة السعودية ومستندا في شعره السياسي الخالص للسياسية ، الى مرتكزات دينية الاصل ‥ مثل هذه الابيات التي يتهم فيها الشاعر من لا يعلن ولاءه للحكم الذي يحمي « **الدعوة** » ‥ بالخروج على الدين ‥ حيث يقول :

أليس أتى في محكم الذكر ‥ أمرنا
بطاعته حقا ‥ ولا نتفرق

فقالوا ‥ أطيعوا الله‥ثم رسوله
كذاك ولي الامر ‥ نص محقق

فمن بات ليلا ‥ خالعا بيعة الذي
به لم شعث المسلمين المفرق

فان مات ‥ كانت ميتة جاهلية
وان عاش فهو المارق المتزندق

الشعر السياسي ‥ والاجتماعي

ولم يستمرهذا الخط التقليديعلى الشعر السعودي، اذ سرعان ماحل مكانه خط اكثر مرونة بتأثير مجموعة من العوامل الطارئة التي صاحبت اتصال « **الدولة** » السعودية بكل ما هو مستحدث في العالم من حولها ، كانتشار التعليم ـ بمختلف مراحله،وظهور وسائل الاعلامالمستحدثة من اذاعة وصحافة وطباعة ‥ كل هذا ادى الى ظهور لون مستحدث من الشعر الجديد على « **السعودية** » هو الذي يمكن تسميته **بالشعر السياسي** ٠

ومع استمرار الاغراض التقليدية المعروفة في شعر أمة العرب من قديم ـ كالمديح ‥ والهجاء والرثاء ‥ والغزل بدرجة او باخرى ـ **فقد ظهرت على سطح الحياة الادبية في السعودية الوان اخرى من الشعر يتقدمها الشعر السياسي ويليه الشعر الاجتماعي الذي يعرض منشؤه لقضايا المجتمع السعودي الجديد** ٠

ويتطور الواقع السياسيللجزيرة بالتحامنجد والحجاز في اطار المملكة السعودية التي شملت بمناطقها الخمس معظم انحاء شبه الجزيرة العربية ـ **باستثناء اليمن في**

الجنوب وامارات الساحل على الشاطىء الغربي للخليج ـ
ويؤدي هذا الواقع الى تطور ملحوظ في اتجاهات الشعر السياسي في شبه الجزيرة عموما ـ وفي السعودية خصوصا ـ ليجد الدارس نفسه امام ثلاثة خطوط متوازية يتحرك عليها هذا الشعر ـ اولها الخط القومي ـ او الاقليمي المحلي وان كان انتاج هذا اللون من القلة في الشعر السعودي بشكل يلفت النظر . ربما لان احساس الشاعر السعودي بالانتماء الى الوطن الاكبر ، جعله اسرع الى التفاعل مع القضايا السياسية الملحة خارج السعودية ـ وما اكثرها ٠٠ وما احوجها الى وجدان الشاعر مثل « **حمزة شحاتة** » يتغنى بمدينته « **جدة** » فيقول :

« جدتي ٠٠ أنت عالم الشعر والفتنة يروي مشاعري ويروق

تتمشى فيك الخواطر سكرى
ما يحس اللصيق منها اللصيق

كلها هائم بعالمه المخمور
يهفو به شذاه العبيق

بينما يدعو « **احمد عبد الغفور العطار** » بني وطنه الى اليقظه والانطلاق الى دنيا التطور من حوله ٠٠ فيقول :

يا امتي حطمي الاغلال واطرحي
عنك الخمول وهذا الدرب فانطلقي

واستيقظي ٠٠ فشعوب الارض قاطبة
تسعى حثيثا بعزم غير مفترق

فمجدك الضخم في الغبراء منبسط
وفي السماء تعالى كالسنا اليقق

وعندما يواجه الوطن السعودي ازمة اقليمية مباشرة ـ كأزمة واحة البوريمي التي اصطدمت فيها السلطات السعودية بالقوات البريطانية ، التي حاولت الاستيلاء على الواحة الشهيرة ـ نجد شاعرا كفؤاد شاكر يقول :

تلك الحماية أو ٠٠ تلك الوصاية أو
تلك الاضاليل وهي السم في الدسم

وما البريمي ، وما أنتم ، وما لكمو
بأهله من صلات القرب والرحم

الى أن يقول :

الرأي عندي وفيه الخير لا جرم
وعنده تتلاقى صفوة الحكم

بأن يثوب عن العدوان مغتصب
ويرعوي عن خداع الرأي والوهم

أولا ٠٠ فان الحسام الغضب متسلط
اذا امتشقناه في اقدام معتزم

فيه الشفاء لمن في رأسه حمق
أو في جوارحه مس من السقم

الشعر القومي

وحين يتجه الدارس للشعر السعودي بالتحليل الى الخط الثاني من خطوط الشعر السياسي في السعودية ، فان **القومية العربية يبدو مفهومها واضحا تمام الوضوح ـ وبشكل يشرف شعراء السعودية من ناحية اخرى ـ وذلك في اهتمام الشعراء السعوديين بكافة قضايا الوطن العربي ٠٠** بدءا من مأساة لبنان الاولى عام ١٩٥٨ الى قيام الثورة الجزائرية ـ واحتضانها احتضانا كاملا في وجدان الشعر السعودي ـ الى نكسة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ التي هزت ضمير الامة العربية جمعاء ٠٠ وقبل كل هذه القضايا جميعا ٠٠ نجد مأساة فلسطين بكل ابعادها ماثلة في انتاج الشعراء السعوديين بصورة تؤكد معايشتهم الكاملة لواقع امتهم العربية الكبرى ٠٠ وتفاعلهم مع نبض الجماهير العربية **في كل مكان ٠٠**

في عام ١٩٤٤ يجتمع الملوك والرؤساء العرب ـ في القاهرة ـ لوضع حجر الاساس في فكرة قيام « **الجامعة العربية** » كمنطلق لجمع الكلمة العربية ٠٠ فيهتز وجدان الشاعر « **ابراهيم هاشم الفلالي** » بالقصيدة التي يقول فيها :

أخي ٠٠ بالوحدة الكبرى
نعيش العمر احرارا

ونجعل من مرابضنا
قلاعا ٠٠ تنفث النارا

ونصنع من شبيبتنا
ليوم الثأر ثوارا

ونجلي عـــن أراضينـــا
أثيمـا ٠٠ لوث الـــدارا

سنمحو العار ٠٠ لا نبقي
بـــارض العـرب أشرارا

وهذا « **سعد البواردي** » يكتب عـــن مأساة المدينـــة المغربية « **اغادير** » عندما تعرضت لما تعرضت له من دمار فيقول :

ماذا أرى ٠٠ هيروشيمـا أم نجـازاكي
أم انهـا يابـلادي بعض مـرآك

اطـلال قوم تـداعت ٠٠ فهي جاثمة
تزيدني رؤيـة الاحداث رؤيـاك

قربى أغـادير عينا واملأيـه فمـا
يانـاصب الخطب ضعفـا حين أرداك

مهـلا اغادير ٠٠ لا تأسي لجائحـة
قـد ضخمت بعبير الصبر دنيـاك

مهلا اغادير ما اهتزت ومـا ارتجفت
ارض بزلزالهـا المجنون ٠٠ لـولاك

الثـائر الخطب لا يرمى سوى بطـل
يخشاه ٠٠ والدهر منك الثائر الشاكي

أما قضية فلسطين فما اكثر ما تحـدث عنها شعراء السعوديـة بمثل الحرارة التي نبضت بهـا قلوب شعراء فلسطين انفسهم ٠٠ وهذا ــ مثلا ــ **حسن عبد الله القرشي يقول** :

ابلفور ضاع اليوم وعد الخنا البـالي
محـاه غطاريف بنـار وزلـزال

فلسطين ارض العرب مشوى بطولـة
لاجدادنا من كـل أروع رئبـال

تسامت ثـرى ان تستلين لغـاصب
وعـزت شرى ان تستكين لختـال

وهذا « **احمد قنديل** » يصور « **اللاجىء الفلسطيني** » بما لم يصوره به اقدر شعراء العربية الا في القليل النادر من رصيد شعر هذه الامة حين يقول :

أنا اللاجىء ٠٠ يـا أماه
من رأسي ٠٠ الى قـدمي

فهـل احسست يا أمـاه
بالذل الـذي ٠٠ بـدمي

أبعـد الموطن المحبـوب
تصبـح مـوطني ٠٠ خيمي

ويأتي عام ١٩٦٧ وتقع نكبة الخامس من حزيران الاسود ، ويهتز وجدان الامة العربية كما لم يهتز من قبل في العصر الحديث ، ويتاسبق شعراء السعودية الى التعبير عن هذه النكبة تعبيرا لم يقصر ابدا ، وبأدق موازين النقد الموضوعي للشعر ــ عن المجيدين من شعراء العرب الـذين تصدوا للحديث عن هذه النكبة ٠٠ والانتاج هنا بالـذات اكثر من ان يحصى وهو بحق جدير بدراسـة مستقلـة ، ويكفي ان نسوق مثلا بالشاعر **سعد البدراوي ــ الذي خرج من هذه الازمة التي تعتبر ازمة قومية ــ** بديوان كامل يحمل « **صفارة الانذار** » ٠٠ نورد منه هذه الابيات من **قصيـدة** بنفس الاسم « **صفارة الانذار** » يقول فيها :

صفارة الانذار ٠٠ صوت يرن
مع النسيم صوتهـا ٠٠ يرن
مـع الريـاح ٠٠ دفعها يحن
على جراح الظلم ٠٠ جرحها يئن
تصرخ في مسـامـع الزمـان
ياأيها الانسان٠المستفيض فيدجي الاحزان
عيناك والضباب ٠٠ والسبـات
لابـد أن تفيـق ٠٠
دنياك ٠ واجترار الترهـات
والمرتع الصفيق
لابـد ان يهب النـائمـون

وفي نفس الديوان يقول **سعد في** قصيدة اخرى :

ويلاه٠٠ويلاه ٠٠ ماتعني٠٠ماتعنيه باطل٠٠
ويلاه ما تعني اذا ما ارتد جافل
واذا توقفت المواكب والجحافل ٠٠

فانا وانت وراءها كالظل ·· حائل
ويلاه في عدد الصفوف ·· وما تطوله
ويلاه في طعم الحقوق ·· زكت فلوله
يسطو ·· يقهقه ساخرا للموت غاله
ويلاه ·· بل ويل المناطق مدها مهلا وختلا
واطالها ·· بحثا ·· وتسويفا ·· ومطلا

بل ان شعراء السعودية ــ **ومنذ عام ١٩٦٧** ــ كانوا يستشرفون بوجدانهم الملتهب بنار النكبة · ملامح المستقبل البعيد ·· فيتحدثون عن اهمية « **البترول** » كسلاح فعال في الصراع العربي الاسرائيلي ·· وهذا « احمد قنديل » يتحدث عن هذا السلاح البتار فيقول :

يامن بخط النار·· للنار الغذاء
أنا معك ·· أنا معك ··
أنا سواء ··
أنا سواء ··
هذي الاكف تشابكت
وتعانقت افراحها
في كل ارض ·· عز في ارجائها
بترولها ·· بترولها ··
عصب الحياة ·· سلاحها
يغزو المعارك لا تلين ··
ولا تهون
حتى تكون
حتى تكون لك الوقود ··
حتى تصون لك الحدود ··

الشعر الانساني

ومن الحديث عن الخط العربي في الشعر السعودي المعاصر ، ننتقل الى الخط الثالث الذي يتحرك عليه هذا الشعر ، لنجد قضايا العالم الاسلامي ــ الاكثر رحابة من عالم امة العرب ــ ونجد الحديث عن الدين ·· وأثره في حياة الانسان المسلم ــ حيث ينطلق الشاعر السعودي في هذا المجال ·· **من الحديث عن المجتمع السعودي الذي تطبق فيه شريعة الله ، كنموذج للمجتمع الاسلامي الذي يأمل ان يراه سائدا في كافة بلاد المسلمين** ــ واخيرا وليس آخرا ·· واستكمالا لملامح الشعر السياسي في السعودية نجد الشاعر السعودي لا ينسى هذا العالم الكبير ·· بكل ما فيه من دول وشعوب وامم ــ تدين بالاسلام اولا تدين ــ وبما فيه من دول تنتمي الى امة العرب اولا تنتمي ·· ولكنه في النهاية عالم البشرية الشاملة ·· والشاعر السعودي لا يقعد عن اداء واجبه كعضو في هذه الجماعة الانسانية الكبرى·· ولا يقصر في التفاعل مع قضايا هذا العالم الرحب ·· وهذا على سبيل المثال ·· لا الحصر ــ الشاعر « **صالح العثيمين** » يتحدث عن « **قنبلة هيروشيما** » فيقول :

فها هي هيروشيما سل أرضها
فقد سحقتها أكف العدم

فاضحت طوالا تناجي الذرى
وتبكي على عهدها المنهزم

رمتها على قلبها « ذرة »
تحيل القصور كبعض الاكم

فزلزلت الارض من هولها
واعشى الفضاء ودك العلم

فستون ألفا ·· دهاها الردى
وفرق من شملها ما التأم

وبعد فالحديث يطول يطول ·· حين يأخذ الدارس نفسه بمحاولة الوفاء لما لهذا الشعر السعودي من حق على نقاد شعر العربية ودارسيه ·· واذا كان هناك من كلمة تذكر في نهاية هذه العجالة ·· فهي حق هذا الشعر السعودي على نقاد الادب في مصر بالذات·· خاصة ولم يقصر هذا الشعر في حديثه عن « **مصر** » بما يتحدث بافضل منه كثيرا العديد من شعراء مصر ذاتها ·· **حبا ·· واعجابا** ·· ومن هذا القبيل ·· تحضرني هذه الابيات للشاعر السعودي « **حسن القرشي** » :

يا مصر ·· يا أغرودة الدنيا وملحمة الدهور
ياصفحة الماضي المجيد··ويارؤى الآتي النضير
يا فرحة الامل الشهي ·· ونفحة الحلم المثير
يانغمة تنساب مشجية كأنفاس العبير
كم هدني شوقي اليك··وراح يدفعني شعوري·

ــ عن مجلة الفيصل السعودية ــ

ابو الفـــداء

عدنان قيطاز

القيت في المهرجان العربي الكبير الذي دعا اليه المجلس الاعلى لرعاية الفنـــون والاداب والعلوم الاجتماعية في مدينتـي دمشق وحماة عام ١٩٧٤ في ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة المؤرخ والجغرافي ابي الفداء عماد الدين اسماعيل المؤيــد صاحب حماة .

عــبر العصـــور ومـد كفيـه فمـا
وجـدت ـ حمـاة ـ أبر منـه واكرمـا

طيف لاسماعيـــل ود لـــو انـــه
عـــاد الزمـــان بـه فجـــاء مسلمـــا

يا مرحبـا بالطيف أقبـــل زائـــرا
وكـــأنه ملـك اطـــل مـــن السمـــا

عجـــلان يفضـــح خطـــوه لألاؤه
أرأيـت كيف أشـــار .. كيف تبسمـا ؟

عجـــلان والذكـــرى تهـز رفاقـــه
طربـــا فلـــو كلمتـــه .. لتكلمـــا

حـدق اليـــه تجـــد شمائل نبلـــه
كيف اغتدت وردا لمـــن يشـــكو الظمـا

واصـغ الى كلمـاته تسمع هنـا ... وهنـاك ما يسبي الفـؤاد الملهمـا

لبست ـ حمـاة ـ له مطارف سحـرها ... وازينت مـن اجلـه .. حتى الدمـى

أطيـار واديهـا تصفـق للضحـى ... وميـاه عاصيهـا تهـز الانجمـا

وعلـى الضفـاف الخضر عطـر نسائم ... سكـرى تجـاذب بلبـلا او برعمـا

سـل ـ دهشة ـ الوادي وسل اخواتها ... مـن علـم الاطيـار ان تترنمـا (١)

كم رجعت من فـرحة شـدوا .. وكـم ... من دمعهـا الباكـي اقامـت مأتمـا

تبكـي وتضحك والعيـون شـواخص ... ويـد الزمـان تقـد منهـا الاعظمـا

مـن قـال : ان الصادحـات جوامـد ... لـم تختلـج قلبـا ولـم تنطـق فمـا

مـن عهـد ادم لـم تزل أنغـامهـا ... تشجـي خليـا او تسامر مغرمـا

بلـد طغـى فيـه الجمال معربـدا ... متحلـلا حينـا .. وحينـا محرمـا

لـو شـام ـ وميروس ـ بارق ثغرهـا ... صلـى على بلـد الجمـال وسلمـا

مشـت الاباة الصيـد يوم كريهـة ... يتقحمـون الهـول ، يحمـون الحمى

فسـل الغواشي عـن مصـادم بأسهـم ... هـل أبصـرت الا الكمـي المعلمـا ؟

ارث البطـولة لـم يـزل فيهـم علـى ... مـر الدهـور الـى المجادة سلمـا

مسـت شغاف ـ ابي الفداء ـ فتونهـا ... فأقـام فـوق ربوعهـا مستسلمـا

لـم يقـل ـ جلـق ـ وهـي دار أبـوة ... أبـدا .. ولا عـق الا حبـة يا ـ حما ـ

لكنـه الفـى العروبـة أنبتـت ... في ضفتيـك شـمائـلا وتكرمـا

فأتـاك ممتلكـا .. وجئت حيبـة ... مـا كـان اروع في الوداعـة منكمـا !

مجـد العروبـة بابـن أيـوب سمـا ... لا والكتـاب .. لقـد رميت كمـا رمى

فـاذا حضنت رفاتـه فترفقـي ... فلقـد وجـدت به الابـر الارحمـا

★ ★ ★

بالامس كـان هنـا .. وكـان ببابـه ... جيش مـن الشعـراء ترجـو المغنما

هـذا ـ صفـي الدين ـ و ـ ابن نباتة ـ ... مـاذا لميمـون النقيبـة قدمـا ؟

ملـك اذا ذكـر الملـوك رايتهـم ... لمـع السراب .. وانـه ـ ماء السمـا ـ

العلـم والشـرف التليـد رداؤه ... في حين كـان رداءهـم سفـك الدمـا

لـم يحمـد التاريـخ عقباهـم ولـم ... يوسـع لهـم الا الحديث مذممـا

ملكيـة قـامت علـى غـير الهـدى ... لولا الحيـاء لقلت كـانت مأثمـا

عفوا فاني ما انتقدت مصرحا / الا لاظهر فضلك المتقدما

ما التاج والسلطان والمال الذي / جمعوا بأسمى من علاك واعظما ؟

أأبا الفداء ولست من اشباههم / ولانت في الدارين اشرف منتمى

جئت البلاد وكان علمك ذائعا / ونزلت حيث الجهل كان مخيما

فنهضت مقتدرا وانت مؤيد / تأسو جراحات وتوقظ نوما

فاذا نطقت فقد نطقت بمعجز / واذا كتبت فقد كتبت معلما

واذا بنيت فصرح مجدك باذخ / هيهات ان يبلى وان يتهدما

باريت أعلام الورى وشأوتهم / حتى غدوت على المعارف قيما

في العلم والاداب أنت امامهم / او في مجاني الفكر انت لهم حمى

والعصر فضي على جنباته / كم صادح غنى .. وكم غرس نما

اني لاهدي الغرب خير تحية / فلقد جلوك وكنت قبل مكتما

عرفوا لقدرك حقه فتقدموا / وبنوك أولى من بنيه تقدما

لو يعلم – الطبري – صنعك بعده / ما كان من اسف الفوات تندما (٢)

جاريته أدبا وصدق رواية / يارب – مختصر – ازال المبهما (٣)

★ ★ ★

او ان – ياقوتا – افاق لتوه / ورأى من – التقويم – ما قد عجما (٤)

لمشى اليك مرصعا وموشحا / وأتيته مستعلما مستفهما

خلق عرفت به فلست بجاحد / حقا لاهليه ولو كانوا اما ..

ياوارث – المأمون – جل فعاله / ما كنتما في السبق الا توأما

لو تسعف الستون جزت حدوده / ولجئت في السبعين آيا محكما

ولكنت أعجزت القرائح والنهى / وصدعت .. حتى من أحار وأفحما

قل لي بربك : أي مأثرة ولم / تنهد لها سيفا يروع ومرقما

شهد الصليبيون بأسك فيهم / شبلا ، وفي زمن الكهولة ضيغما

عاطيتهم كأس المنون بضربة / لما غدوت عليهم متقحما

بأسنة يعشي العيون بريقها / وصوارم تجلو عن القلب العمى

سل مرج – عكا – او فسل – صورا – وسل / عنه – طرابلسا – اما ابلى أما ..

تتحلـــق الابطـــال حـــول لوائـــه لفـــا كمـــا لف الســـوار المعصمـــا
طوبى فأرضـــك لم تـــزل في مأمـــن وبنوك ما زالـــوا النســـور الحومـــا

أأبا الفـــداء .. الـــي هل مـــن لفتـــة فأنا الـــذي جبـــه الطغـــاة ومـــا ارتمـــى
انـــا واحـــد مـــن أمـــة عربيـــة زحمـــت بمنكبهـــا الســـماك المرزمـــا

آلـــى لينتقمـــن للشـــعب الـــذي أضحـــى شريـــدا في العـــراء مقسمـــا
يا هـــل درى الاقصـــى بأن لقـــاءنـــا دان فلـــن يأســـى ولـــن يتألمـــا

والمعتـــدون سيصبحـــون خـــرافة تحكـــى ، ومـــا شادوا هشيما مضرمـــا
سيعـــود عيســـى يلتقـــي بمحمـــد فيـــه وفـــاطمة تعانـــق مريمـــا

ولـــى حزيـــران وأقبـــل بعـــده تشريـــن وضـــاح الجبـــين مسومـــا
ومواكب الاحـــرار يقفـــو بعضهـــا بعضـــا .. فقل : ياشعبنـــا لن تهزمـــا

★ ★ ★

يا صـــاحب المجـــد الرفيـــع تحيـــة شعـــرا كحاشيـــة الربيـــع منمنمـــا
اندى علـــى الاســـماع مـــن قمريـــة وألـــذ في الافـــواه مـــن عذب اللمـــى

اصفيتـــه للذكريـــات معتقـــا وسكبتـــه عطـــرا يضـــوع وبلسما
وجعلتـــه للناهضـــين الـــى العلـــى وقفـــا ، وللباغـــين سمـــا علقمـــا

مـــن جنـــة ــ العاصي ــ قبست ضياءه ونفثتـــه سحـــرا يهـــز الموسمـــا
لـــو جـــاء اسماعيل فـــي أيامـــه لطـــوى المدائـــن معرقـــا او مشئمـــا

من ديوان « اللهب الاخضر »

تحت الطبـــع

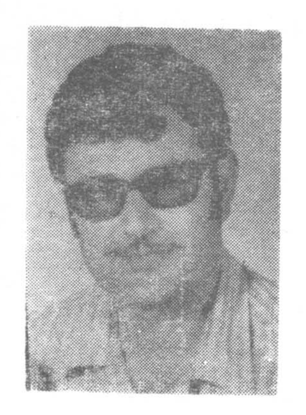
---

١ ــ الدهشة ناعورة كانت بقرب قصر ابي الفداء ومسجده ولا تزال قائمة حتى اليوم .

٢ ــ ابن جرير الطبري صاحب تاريـــخ الرسل والملوك .

٣ ــ مختصر تاريخ البشر لابي الفداء .

٤ ــ ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان ولابي الفداء تقويم البلدان .



التحول الفكري في الغرب

بقلم : محمد منذر لطفي ـ

ليست هذه هي المرة الاولى التي أزور فيها اوربا ولكنها المرة الاولى التي ازور فيها جمهورية المانيا الديمقراطية .. وآمل ألا تكون الاخيرة ، لقد كنت احد اعضاء الوفد الثلاثة (١) الذين كان لهم شرف تمثيل اتحاد الكتاب العرب في سوريا خلال النصف الثاني من نيسان الماضي ـ ١٩٧٨ ـ لدى تلك الدولة الصديقة ، لقد شعرنا خلال وجودنا هناك اننا اكثر من اصدقاء ، كما شعرنا اكثر من اي وقت مضى اننا مدعون جميعا هنا وهناك .. وفي كل بقعة من بقاع الارض الى الدعوة لادب هادف مسؤول ينبع من الحياة اليومية للمجتمع بكل الامة وآماله .. ويعود اليه ليرسم لانسانه الرؤى الصحيحة والمدارات المضيئة التي تقوده الى غد افضل .. مليء بالسعادة والامل والاخاء والمساواة .. والمحبة والسلام .

لقد زرنا خلال وجودنا هناك معظم المدن الرئيسية لالمانيا الديمقراطية ، وفي كل بلد كنا نزوره كانت بانتظارنا اللقاءات الفكرية والادبية الغنية مع أبرز رجال الفكر والادب والقلم هناك ، وخاصة تلك التي جرت في كل من ـ برلين ـ دريسدن ـ فايمر ـ لايبزغ ـ حيث كنا نسأل ونسأل ـ بضم النون ـ بحرية تامة .. ونجاب ونجيب بمثل تلك الحرية أيضا ، والذي يهمني هنا في هذا المقال هو أن انقل لقراء العربية مجموعة الانطباعات الادبية والفكرية التي استخلصتها من خلال تلك اللقاءات الثقافية التي تمت خلال تلك الزيارة ، والتي ستعطي القارىء العربي الصورة الصحيحة والواضحة للحياة الادبية والفكرية هناك ، وذلك بغية تعميم الفائدة وتحقيق الغاية المرجوة من تلك الزيارات .

ولتسهيل البحث .. وتجنب تكرار ذكر الاسئلة والاجوبة والاراء التي تمت مناقشتها .. فقد وجدت أنه من الافضل ان اقسم المقال الى قسمين ، الاول اذكر فيه أهم اللقاءات التي جرت ، مع تحديد الزمان والمكان وأسماء الاشخاص ، واعطاء فكرة مكثفة عن أهم موضوعات الحوار ، وكذلك القاء بعض الاضواء على الجانب المميز منها ، والقسم الثاني أثبت فيه ما اجمع عليه كتاب وشعراء ومسؤولو الفكر كافة في جمهورية المانيا الديمقراطية وخاصة ما كان منه متعلقا ب : ـ هدف الادب ـ النظرة الى التراث ـ دور الضوابط الايقاعية في الشعر ـ استخدام الرمز ـ الفرق بين المعاصرة والحداثة ـ تصنيف الادب ـ التفرغ وأثره في حياة الكاتب ـ والذي يمثل أهم الانطباعات الثقافية عن تلك الزيارة ، ويشكل المحصول الفكري والادبي لها .

١ ـ اللقاءات :

١ ـ لقاءات برلين :

تمت خلال وجودنا في برلين اللقاءات الاربعة التالية :

ـ اللقاء الاول :

تم هذا اللقاء ظهر يوم الجمعة بتاريخ ٢١ـ٤ـ١٩٧٨ اثر حفلة الغداء التي أقامها اتحاد الكتاب الالمان ـ فرع برلين في مطعم الفندق الذي ننزل به ، وقد حضره عن الجانب الالماني كل من :

ـ **راينر كيرندل (٢) : نائب رئيس اتحاد الكتاب الالمان** ـ كاتب مسرحي مشهور وناقد روائي جيد .

ـ ابرهارد شايبنر : سكرتير اتحاد الكتاب الالمان ـ فرع برلين .

ـ كلاوس شينمنستر : كاتب مختص بأدب الاطفال .

ـ ايريكا بوتنر : سكرتيرة في اتحاد الكتاب الالمان ـ تعمل في مجال النقد الادبي .

ـ جيزيلا كيرشكي : تعمل في سكرتارية اتحاد الكتاب الالمان ـ فرع برلين .

تميز هذا اللقاء بطرح موضوع القضية الفلسطينية وموقف الكتاب الالمان منها ، كما تميز بطرح أهم القضايا الادبية المعاصرة ، لقد كان واضحا من خلال الاجوبة الصريحة للحضور وخاصة ـ راينر كيرندل ـ ان الكتاب الالمان بدؤوا منذ حزيران ١٩٦٧ يعيدون النظر الى القضية الفلسطينية ككل بروح موضوعية ، وعلى ضوء الواقع لا على ضوء الدعايات المغرضة التي تقوم بها الصهيونية العالمية والامبريالية الرأسمالية ، كما أنهم أخذوا على عاتقهم النظر الى القضية العربية ـ ليس من زاويتها السياسية فحسب ـ وانما العمل على استيعاب العرب في قلوبهم ووضعهم في قلوب الالمان كما قال الاستاذ ـ محي الدين صبحي ـ في احد اعداد مجلة المعرفة السورية ذات يوم ، وقد كان رائدهم في ذلك ـ كيرندل ـ نفسه صاحب مسرحية (جرش .. ذات يوم في ايلول) تلك المسرحية التي استقى احداثها بالكامل من واقع الصدام الحاد والكفاح العادل للقضية الفلسطينية عام ١٩٧٠ ، والتي ترجمها الى العربية الاستاذ ـ فيصل الياسري ـ ومثلت على اكثر من مسرح الماني .

انها ـ والحق يقال ـ تمثل أفقا صديقا وبعدا جديدا ومؤشرا ايجابيا ونجما مميزا مضيئا لكتاب اوروبا كافة في شرقها وغربها ، وتدلهم دلالة واضحة على عدالة قضية الانسان العربي الذي أخذ على عاتقه منذ أمد قراع الصهيونية والامبريالية والنظم الاجتماعية المتخلفة بنفس بطولي وعزيمة صلبة ، ويكفي هذه المسرحية فخرا انها اكتشفت في اخر المطاف وبموضوعية تامه شرعية العمل الفدائي ودوافعه الحقه وابعاده الانسانية .

❊ اللقاء الثاني :

تم هذا اللقاء عصر يوم الخميس ٢٧ـ٤ في بيت الشعوب للطباعة والنشر ـ فولك أند ولت ـ وقد حضره عن الجانب الالماني كل من :

ـ جيرجن كرونا : رئيس دار النشر .

ـ مانفريد كيجلر : رئيس قسم الترجمة .

ـ جوشيم ماينت : المشرف على النشر .

تميز هذا اللقاء باعطاء فكرة عن طبيعة عمل دار النشر هذه ، وكيف انها تترجم مختارات لبعض شعراء وكتاب من دول اخرى وخاصة اسيوية وافريقية بما في ذلك الدول العربية طبعا ثم انتقل الحديث بعد ذلك الى اهم الموضوعات الادبية والفكرية المعاصرة .

❋ اللقاء الثالث :

تم هذا اللقاء صباح يوم الجمعة ٢٨ـ٤ ـ في مبنى وزارة الثقافة والارشاد الالمانية وقد حضره عن الجانب الالماني كل من :

ـ د : كيرهارست دانه : مدير الاداب والفنون والموسيقى في وزارة الثقافة ، وقد ناب عن معاون وزير الثقافة الذي كان من المفروض ان يحضر هذا اللقاء معه ، ولكن مرضه حال دون ذلك .

ـ عنصر مسؤول في الوزارة :

ـ جيزيلا كيرشكي : سكرتيرة في اتحاد الكتاب الالمان ـ فرع برلين .

لقد افاض الدكتور ـ كيرهارست بالحديث عن مهمات الوزارة وأقسامها وطبيعة عمل كل قسم ، ثم انتقل الى الحديث عن القراء في المدن والريف وعن تفاوت ذوقياتهم ، وعن المسابقات الاشتراكية التشجيعية التي تجرى في المعامل ، وعن مشكلة الطبقات والاجيال والصراع بين القديم والحديث ، ودور الفرد في المجتمع ، وتداخل الافكار بين الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية وخاصة في بلدهم حيث تؤثر عليهم بعض الشيء الثقافة الامريكية الواردة اليهم عن طريق المانيا الغربية بسبب الجوار المباشر وأجهزة الاذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات هناك ، والتي تأخذ على عاتقها جميعا تضخيم التناقضات الموجودة في المجتمع الاشتراكي وتزييفها واستخدامها ضد الاشتراكية ، بالاضافة الى محاولاتها الدائمة والفورية التي لا تعرف الكلل او الملل اغراء كل كاتب او شاعر جيد يظهر عندهم واستقطابه لصالحها .

وبعد ذلك بدأ الحوار الثقافي والفكري حول الادب والشعر والتراث والقضايا الثقافية المعاصرة الاخرى .

❋ اللقاء الرابع :

تم هذا اللقاء ظهر يوم الجمعة ٢٨ـ٤ ايضا خلال حفلة الغداء التي اقامها لنا اتحاد الكتاب الالمان ـ فرع برلين في مطعم مورافا التشيكوسلوفاكي ، وقد حضرها عن الجانب الالماني كل من :

ـ كيرهارد هوتس باومن (٣) : من اشهر الادباء الالمان الذين يكتبون للاطفال .

ـ هورست باستينيان (٤) : اديب وكاتب روائي معروف جدا في المانيا . مختص بالكتابة للشباب .

ـ كلاوس شينمنستر : اديب وكاتب روائي معروف في المانيا ـ مختص بالكتابة للاطفال .

ـ السيدة ايريكا برتنر : سكرتيرة في اتحاد الكتاب الالمان ـ تعمل في مجال النقد .

ـ السيدة شولر : مندوبة الاذاعة الالمانية ـ تعمل في فرع الاداب العالمية ـ قسم الشرق الاوسط .

ـ جيزيلا كيرشكي : سكرتيرة في اتحاد الكتاب الالمان ـ فرع برلين .

تميز هذا اللقاء بجو خاص من الحيوية والصراحة الودية وتبادل الاراء بحرية تامة حول قضايا الساعة الادبية بعامه والقضايا العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية والصراع في الشرق الاوسط بخاصة .

٢ ـ لقاءات دريسدن :

❋ اللقاء الاول :

كان من المفروض ان يتم ظهر يوم الاحد ٢٣ـ٤ ـ مع كاتب الاطفال المشهور ـ فيلليماينغ ـ في مدينة ـ تتساو ـ المحاطة بجبال ـ تتساوا ـ ، ولكن ضيق الوقت وبعد مدينته عن دريسدن بعض الشيء حالا دون تنفيذ هذا اللقاء .

* اللقاء الثاني :

تم هذا اللقاء مساء الاحد ٢٣ ـ ٤ في مطعم فندق ـ نيفا ـ افخم واجمل فنادق مدينة دريسدن على الاطلاق ، وذلك اثر انتهاء حفلة العشاء التي اقامها لنا فرع اتحاد الكتاب الالمان في دريسدن : وقد حضره عن الجانب الالماني كل من :

ـ الدكتورة : كاترينا شينفس (٦) : مدرسة سابقه في جامعه دريسدن ـ تعمل حاليا مترجمة في فرع اتحاد الكتاب هناك .

ـ السيد بوم (٧) : يعمل في سكرتارية اتحاد الكتاب الالمان ـ فرع دريسدن .

ـ كلاوس نيتشه (٨) : كاتب قصصي للاطفال ـ عضو اتحاد الكتاب الالمان ـ فرع دريسدن .

ـ سيدة تعمل في سكرتارية فرع اتحاد الكتاب هنـاك .

وقد تم في هذا اللقاء مناقشة القضايا الادبية والفكرية المعاصرة كافة وتميز بامتداده الى منتصف الليل بسبب ترجمة بعض الاعمال الادبية للمشتركين فيه بشكل مباشر واطلاع الحضور عليها ،ومناقشة ماورد فيها من افكار واراء .

٣ ـ لقاءات فايمر :

* اللقاء الاول :

تم هذا اللقاء مساء الاثنين ٢٤ ـ ٤ في فندق ـ الفنت ـ وحضره عن الجانب الالماني كل من :

ـ وولف كانك هلد (٩) : كاتب روائي معروف ـ عضو اتحاد الكتاب الالمان ـ فرع فايمر .

وقد تميز هذا اللقاء بمناقشة القضية الفلسطينية بشكل خاص نظرا لان الكاتب يحضر كتابا عنها في الوقت الحاضر .

* اللقاء الثاني :

كان من اجمل اللقاءات ، وقد تم عصر يوم الثلاثاء ٢٥ـ٤ برفقة الكاتب ـ هلد ـ وعلى الطبيعة مباشرة مع الشاعرين الخالدين ـ غوته ـ و ـ شيللر ـ من خلال زيارة شيقة مليئة بالذكريات التاريخية الحبيبة ، قمنا بها لبيتيهما اللذين اصبحا متحفين يؤمهما عشاق الادب والشعر من كل حدب وصوب ، وكذلك زيارة لضريحيهما في المقبرة التاريخية الخاصة بأفراد العائلة الملكية ، والتي تقرر عدم اضافة موتي جدد اليها ايا كانت هويتهم الحياتية ومكانتهم الاجتماعية ، لقد شاهدنا الماضي يطل علينا بكل روعته وجماله وجلاله ، وشعرنا اكثر من مرة أن العباقرة احياء على الدوام .. ليس بنظر وضمير امتهم التي انجبتهم فحسب .. وانما بنظر وضمير ابناء البشرية قاطبة مهما اختلف الزمان والمكان والانسان ، فسلام عليك يا ـ غوته ـ .. وسلام عليك يا ـ شيللر ـ .. وسلام عليك يا ـ فرانزليست ـ .. وسلام عليكم ايها العباقرة جميعا في كل مكان وعبر كل زمان ..

٤ ـ لقاءات لايبزغ :

* اللقاء الاول :

تم هذا اللقاء ظهر الاربعاء ٢٦ـ٤ مع المسؤولين عن الثقافة والفكر في معهد ـ يوهانس ايرنبيكر ـ (١٠) وقد حضره عن الجانب الالماني كل من :

ـ البروفسور : ماكس فالتر شولتس : مدير المعهد ورئيس فرع اتحاد الكتاب الالمان في لايبزغ .

ـ د : كورت كانشوك : اخصائي في النقد الحديث ورئيس هذا القسم في المعهد .

د : فردريش البرشت : اخصائي في الادب الاشتراكي والثوري ورئيس هذا القسم في المعهد .

ـ د : جيرهارد روت باور : اخصائي في الاساليب الفنية والادبية ورئيس هذا القسم في المعهد .

ـ الشاعر : بيتر غوسيه : رئيس قسم الشعر في المعهد ـ تغيب عن الحضور بسبب سفره خارج لايبزغ ـ .

وقد كان لقاء حافلا تم خلاله مناقشة العديد من القضايا الادبية والفكرية المعاصرة ، وتميز بغنى محصوله الفكري ومناقشاته الموضوعية التي ادرجتها ملخصة لقراء العربية ضمن القسم الثاني من المقال، الخاص بالانطباعات الادبية والفكرية ، والذي سيلي هذه الفقرة مباشرة .

٢ ـ الانطباعات الادبية والفكرية

١ ـ أجمع مسؤولو الادب والفكر في جمهورية المانيا الديمقراطية على أن المسؤولية الثقافيةتعني تبني المدرسة الواقعية الاشتراكية التي تؤدي الى ـ الالتزام الطوعي ـ النابع من الذات ، وأن تناول الشاعر أو الكاتب لبعد واحد والسير فيه ـ البعد العاطفي ـ مثلا يدل على قصر نظر ذلك الشاعر او الكاتب وعلى بعده وغيابه عن العديد من القضايا الجماهيريةالمعاصرة التي تمثل قضايا امته والتي تشكل بدورها جزءا من القضايا الانسانية كافة .

٢ ـ رغم اختلاف بعض القضايا والموضوعات الادبية المعاصرة بين بلدينا ، الا ان هناك نقاط التقاء كثيرة حساسة وهامة بين كتاب وشعراء البلدين ، وتأتي في طليعتها الموضوعات الاجتماعية التي تحرك الادب ، وتشكل احد روافده الرئيسه الاكثر اهمية ، وتعطيه قيمته الجمالية والانسانية على حد سواء ، انهم يرفضون ان يكون الادب تابعا للفلسفة او السياسة ولا يقبلون بذلك على الاطلاق ، لانهم يعتقدون ان مثل هذه التبعية ستفقد الادب قسما كبيرا من اهميته وجماله ودوره في الحياة ، انه عالم رائع مستقل له هويته المميزة وصفاته ومزاياه الخاصة به ، ويجب ان يكون ـ هو والفن والثقافة ـ في خدمة الحياة ، وحافزا لاطلاق طاقات الانسان المبدعة .

٣ ـ ان تغير الافكار والمعطيات عندهم بعد الحرب العالمية الثانية يجعل من الضرورة والواجب التفكير بطرق جديدة ورؤى جديدة وذلك استنادا الى المعطيات الجديدة التي أفرزتها وقدمتها فترة ما بعد الحرب وحتى الوقت الحاضر .

٤ ـ التراث شيء مقدس ، وهم ينظرون اليه بأهمية بالغة ، ويؤمنون بأن دول العالم كافة تشاركهم هذا الرأي وتنظر الى تراثها بمثل هذه النظرة ، انه مصدر اعتزاز وفخر لانه يحمل وينقل ـ المشاعر الانسانية في الماضي ـ لذلك فانهم يقدرونه ويجلونه ويعتبرونه المنطلق الرئيسي لمعالجة العديد من القضايا المعاصرة ولكن بوجهات نظر جديدة . ورؤى مختلفة عن الماضي ، وبمعنى اوضح فانهم لا يسقطونه من حسابهم على الاطلاق ولا يحاولون حذفه من قاموس أدبهم ولا يعتبرونه عالة على ثقافتهم الحديثة وفكرهم المعاصر ، وبالتالي فانهم لا يحكمون عليه بالاعدام ، لانهم ان فعلوا ذلك فسيصبحون كالشجرة التي لا تلبث ان تذوي سريعا لانها فقدت الجذر ، انهم يعتبرونه ثروة هائلة ومعينا لا ينضب ، فهناك على سبيل المثال العديد من القطع الملحمية التي كتبت خلال القرن العاشر والحادي عشر ، واعادوا كتابتها بشكل معاصر يناسب الشباب في الوقت الحاضر ، وما ينطبق

على الادب ينطبق على المسرح والفنون الاخرى كافة ، لقد كانت جملة الدكتور - كيرهارست دانه - غاية في الدقة والتعبير حين قال : نحن نحافظ على التراث ونعتز به ولا نتخلى عنه ، وننظر اليه برؤية معاصرة وأبعاد جديدة .

٥ - لا يوجد شعر اصيل تنعدم فيه بالنسبة للشكل الضوابط الايقاعية المتمثلة في الاوزان الموسيقية والقوافي المتعددة ، ومعظم شعرائهم وشاعراتهم المرموقين عادوا منذ اكثر من عشر سنوات الى كتابة الشعر من خلال المحافظة على التفعيلة والقافية المتنوعة واعتبروا ان التحرر الكامل منهما والوصول بالتالي الى ما يسمى - بالقصيدة النثرية - ما هو الا تقليعة كباقي التقليعات التي وصلتهم منذ عشرين عاما ودار في فلكها بعض الادباء الناشئين من الشباب البسيط الثقافة ، الرافض لكل شيء ، الباحث عن الجديد أيا كان مستواه وهويته ونتائجه .

٦ - يجب ان يبتعد الادب بشكل عام والشعر بشكل خاص عن المعميات والطلاسم ، كما يجب استخدام الرمز من معطيات - التاريخ والدين والاسطورة والتراث - وضمن حدود الحاجة كوسيلة لا غاية ، وبالتالي يجب اسقاطه اسقاطا حضاريا معاصرا على حدث جديد وبرؤيا جديدة حتى نصل من خلاله الى الموضوع المراد الموجود على مسرح الواقع الحياتي المعاش ، ذلك ان للادب هدفا واضحا يجب أن يصل اليه في نهاية المطاف كل من يقرؤه ، ونحن نكتب لاناس يجب ان يفهموا ما نكتبه لهم ليتمثلوه ، والا أضعنا الهدف الرئيسي للادب بالكامل ، اننا نكتب للانسان الالماني بخاصة والانسان الكوني بعامة .. اننا نكتب لكل هؤلاء أولئك وليس لقراء او مخلوقات من كوكب اخر .

٧ - المعاصرة تعني ان يتناول الكاتب موضوعات حياتية معاصرة تهم قطاعا كبيرا من الناس ما استطاع الى ذلك سبيلا لتكون الفائدة أعم وأشمل ، ولا مانع من ان يتناول موضوعات حياتية خاصة ، ولكن شريطة الا تشكل مركز الثقل في عمل الاديب ونتاجه ، وهم يؤمنون معنا ان الاديب كقطعة النقد الذهبية ينقش على وجهها الاول القضايا العامه التي تهم الانسان والمجتمع والامه والوطن والكون ، وعلى وجهها الثاني القضايا الشخصيه الذاتيهالتي تعيش في أعمق أعماقه نتيجة تجارب حياتيه بوحيه وعاطفيه مربها .

أما الحداثة فهي تطوير الاسلوب والكتابه بلغة جديدة وأفكار جديدة مستمده من روح العصر ، وتناسب افاقه واذواقه وابعاده .

٨ - تتصدر الكتابات المسرحية والروايات الطويلة رأس القائمة بالنسبة لافضليات الادب عندهم ، يليها الشعر ، ثم ادب الاطفال وادب الشباب ، وبعد ذلك النقد الادبي والمسرحي ، واخيرا وليس اخرا القصة القصيرة التي تعاني من التأخر بعض الشيء عندهم ، والسبب في ذلك يعود الى امتداد النظرة التي كانت سائدة في المانيا البرجوازية خلال القرن التاسع عشر والتي تقول بأن المسرح سيلعب الدور الاهم في المستقبل حيث يعالج الاديب من خلال رواياته المسرحية الموضوعات بشكل كامل ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فانهم يفتقدون بعض الشيء الاساس الجماهيري للشعر ، هذا اللون من الادب الذي يكتب - حسب رأيهم - لمستويات معينه ومثقفه ، ويحتاج الى وقت وتفكير وهدوء ، وهذه الشروط غير متوفرة لمعظم شعرائهم نظرا لانهم يعملون في وظائف اخرى ، في الوقت الذي لا تحتاج فيه الكتابات المسرحية - وهذا رأيهم أيضا - لمثل تلك الشروط ، انهم يطبعون على سبيل المثال مليون نسخة للروائي المشهور - ابسن - (١١) في حين يطبعون للشاعرة - ايفا شتريت ماتر - (١٢) التي لا تقل شهرة - ٣٠ الف نسخة فقط ، بينما

يحدث العكس في بعض جاراتهم الاشتراكية ـ كالمجر ـ مثلا حيث يحظي الشعر بالمقام الاول في تلك البلاد وهو متطور جدا هناك لانه يوافق عادات الجمهور وبالتالي فانه يأخذ مكان الصدارة في قائمة تصنيف الالوان الادبية الاخرى .

٩ ـ التحويل الاشتراكي عندهم ، لايعني انعدام وجود الطبقية حتى بالنسبة للادب سواء في صفوف الكتاب او القراء ، ولو انهم سايروا عامة الناس ـ التي تشكل الاكثرية ـ لطبعوا قصصا بوليسية وعاطفية ترفيهية فقط ، ولكنهم يحاولون دوما المحافظة على نوع من التوازن بين طباعة الكتب الجيدة القيمه وبين طباعة الكتب الترفيهية الاخرى ، وان مشكلة الطبقات هذه تذكرهم على الدوام بمشكلة الاجيال الثقافيه والصراع بين القديم والحديث ، والرأي الفصل عندهم في هذا المجال هو أنه لا يوجد قديم وحديث وانما يوجد ادب جيد ـ بغض النظر عن عمر صاحبه الزمني ـ لا يسقط من حسابه الثالوث الهام ـ التراث ـ المعاصرة ـ الحداثة ـ يقابله على الرصيف الاخر ادب غير جيد .

١٠ ـ ان مرحلة تثقيف الجماهير مرحلة طويلة ومتعبة وصعبة وتمثل المشكلة الاكثر اهمية بالنسبة اليهم ، ولا يتوقعون تحقيق هذا الهدف والوصول اليه قبل ـ ٢٠ ـ ٣٠ ـ عاما اخر .

١١ ـ يستطيع الكاتب ، أيا كانت هويته الادبية ـ روائي ـ شاعر ـ قاص ـ ناقد ... الخ ـ أن يعيش من وراء ادبه اذا تفرغ كليا لذلك ، حيث يحصل على اجور ومكافآت جيدة لقاء اعماله الادبية التي يقدمها خلال فترة تفرغه تتناسب وحجم ومكانة العمل الادبي المنفذ ، كما يحصل على نسبة معينة من ثمن المبيعات، وتلعب امكانية الاديب الشخصية ومدى شهرته الادبية دورا بارزا وهاما في هذا المجال ، وهذان الدخلان .. المكافأة والنسبة المعينة من ثمن المبيعات يجعلانه بغنى تام عن مزاولة اي عمل اخر ، وبالتالي فانه يعيش من وراء تفرغه بشكل جيد .

١٢ ـ يمثل موضوع استيراد الورق من الخارج اهم مشكلاتهم في مجال الطباعة ، وهو يشكل (٧٠٪) من احتياجاتهم ، ويطلقون على الورق هناك اسم ـ الذهب الابيض ـ ، ولما لفتنا نظرهم الى ان بلادهم غنية بالاشجار وان ذلك يشكل احد المصادر الرئيسية الهامة في صناعة الورق ، كان جوابهم غاية في التفكير والفهم حين قالوا : اننا نختصر قدر الامكان من عملية قطع الاشجار ولو ادى ذلك الى استيراد الورق من الخارج وبالعملة الصعبة احيانا ، حتى تبقى المعادلة الجمالية والمناخية والصحية قائمة بين الطبيعة والبيئة وحتى لا يصبح بلدنا صحراويا ، ولو انعكس ذلك على كمية الطباعة عندنا وأدى الى تحديدها .

● ـ تلك هي أهم الانطباعات الفكرية والادبية التي استطعت ان اسجلها من خلال هذه الزيارة وتلك اللقاءات .

كلمة اخيرة احب ان اختتم بها هذا المقال ، وأثبتها هنا في هذا الصدد .. صدد الزيارات واللقاءات .. لا لأجل ان اقيم فيها الفكر والادب في جمهورية المانيا الديمقراطية.. أو أضع رقما رياضيا حذاء اسمها ابين فيه وزنها وجوهرها ومكان مقعدها في الصف الادبي الاشتراكي بخاصة والكوني بعامة ـ لانني لا املك اصلا مثل هذه المؤهلات التي تخولني حق اطلاق مثل هذه الاحكام ـ بل لاكون من المخلصين للفكر والادب لانهما عندي بمثابة قضية وموقف .. اقول :

لقد ابحرت من خلال هذه الزيارة وتلك اللقاءات في محيطات فكريةزاخرة .. قادتني في نهايةالمطاف الى تكوين فكرة جيدة عن الهويةالثقافيةالجديدة والمسار الفكري المتطور لذلك البلد الاشتراكي الصديق .. المتطلع دائما وابدا الى غد افضل من اجل سعادة ابنائه وسعادة الانسان في كل مكان .. وعبر كل زمان .

محمد منذر لطفي

عضو اتحاد الكتاب العرب في سوريا

ـ فرع حماه

١ ـ الاستاذ علي سليمان وكاتب المقال والدكتور بسام الساعي .

٢ ـ يحمل ثلاث جوائز ادبية وفنية بارزة ، يملك قدرة جيدة على التخيل والتحليل واستخلاص المغزى ، له مجموعة كبيرة من المسرحيات الجيدة ، بالاضافة الى كونه الناقد المعتمد لدى عدد من كبريات الصحف الالمانية وبخاصة نويز دويتشلاند الجريدة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني ، ترجمت مسرحياته وقدمت على خشبات المسارح وعلى شاشات التلفزيون في معظم الدول الاشتراكية والاوروبية ، سبق له ان زار عددا من البلدان العربية اكثر من مرة بما فيها سوريا .

٣ ـ عضو في هيئة رئاسة اتحاد الكتاب الالمان ببرلين ، ترجمت بعض مؤلفاته الى اللغات الاخرى وخاصة الروسية والاوكرانية والانكليزية والفرنسية والسويدية والتشيكية والبلغارية ، أشهر اعماله المنتشرة في اوروبا على الاطلاق رواية للاطفال بعنوان ـ الفونس ـ .

٤ ـ مرشح لعضوية هيئة رئاسة اتحاد الكتاب الالمان ببرلين للعام القادم ، يعكف منذ ثماني سنوات على اصدار سلسلة مؤلفه من ثلاثة كتب ، نشر الجزء الاول عام ـ ١٩٧٤ ـ تحت عنوان ـ فقدان القوة ـ والجزء الثاني ينشر هذه السنة ويحمل نفس العنوان والجزء الثالث يكتبه حاليا ، ويعالج فيه فترة البناء والتطور في الجمهورية بدءا من عام ـ ١٩٤٥ ـ وحتى الوقت الحاضر ، سبق له ان زار سوريا خلال تشرين من العام الماضي .

٥ ـ كاتب هادىء ، يتمتع بثقافة جيدة ، سبق له ان زار سوريا .

٦ ـ تحمل دكتوراه في الفلسفة واخرى في العلوم ، قامت بترجمة العديد من قصص الكاتب الفرنسي الشهير ـ بلزاك ـ الى اللغة الالمانية ..

٧ ـ له تجربة طويلة في عالم الصحافة الالمانية ، حيث عمل فيها لمدة كبيرة قبل ان يستقر في عمله الحالي . يمتاز بالنشاط والحيوية ، أكسبته مهنته السابقة اتساعا في الافق وطلاقة في الحديث .

٨ ـ مدرس مادة الادب الانكليزي في جامعة ـ دريسدن ـ ، يحضر حاليا دراسة عن تطور الادب الانكليزي خلال عهد ـ شكسبير ـ اجريت معه مقابلة خاصة عن ادب الاطفال ستنشر قريبا .

٩ ـ كاتب هادىء ، يتمتع بثقافة جيدة ، ويشكل مع زميله الكاتب الروائي ـ هاري تورك ـ علمين من ابرز اعلام الادب في مدينة ـ فايمر ـ سبق له ان زار سوريا ، وهو يحضر حاليا كتابا عن القضية الفلسطينية .

١٠ ـ شاعر الماني سابق مشهور جدا ويحمل المعهد الثقافي والادبي في مدينة ـ لايبزغ ـ اسمه .

١١ ـ من اشهر وابرز الروائين الالمان في الوقت الحاضر على الاطلاق .

١٢ ـ شاعرة المانية معاصرة مشهورة ، ومتزوجة من قاص مشهور ايضا ، تدعو للتجديد على ضوء ايجابيات التراث مع تبني مجالات الحداثة كافة شريطة الا تصل الى التحلل الكلي من شرطي التفعيلة والقافية المتنوعة بالنسبة للشكل ، ولا الى تكثيف الرمز وتعتيمه والوصول بالتالي الى نوع من الطلاسم والمعميات بالنسبة للمضمون ، وهي تكتب عن العلاقة بين الطبيعة والانسان وخاصة فيما يتعلق بتغير مشاعره تبعا لتغير فصولها ، كما تكتب عن شؤون الحياة العادية والهموم اليومية التي يعيشها الناس ، يمتاز شعرها بالبساطة الرائعة ، والجده المميزة في انتقاء الموضوعات التي تصبها في قوالب الاوزان الشعرية المتطورة والاسلوب الرومانسي البسيط الواقعي المحبب .

انت بين الضلوع

شعر علي محمد حسن

الى روح فقيد العلم والادب والتقوى العم الشيخ علي احمد كتوب في ذكرى أربعينه

عرّش الصمت واعتلى الأسوارا ... يا لدنيا تهالكت أخطارا
أشعل الليل من دمي ، وجنون الـ ... ليل يغشى القلوب والابصارا
ظلمة عيشة الابي ، فيارب ... ابالعتم نكمل الاعمارا ؟
أنا هم على مفارق عمري ... ودروبي مليئة أغوارا
كيف أمضي والف الف كمين ... يزرع الأرض والفضاء شفارا
يلتقي الجرح والهوى ، فوريدي ... دائم النزف حرقة واصطبارا
كم رجاء مع الشروق تبدى ... ومرام مع الغروب توارى
كم حبيب أغلى على النفس منها ... ما اتقاه الردى ، ولا فيه دارى
سنة مصرع الكرام على الدهر ... أم القهر يقتل الاحرارا ؟ ..
دابه .. دابه امتصاص الشرايين ... وان كان نبضها أقدارا
حكمة الله .. تصطفي الغر للدنيا ... سراجا ، وللعلى أوطارا
وحدهم يعبرون في الظن وهجا ... ويطوفون في اليقين منارا
يشرف الترب اذ يضم كميا ... ملأ العين والفؤاد فخارا
وكذاك السماء تحضن بالبشرى ... تقيا قضى الحياة وقارا
كفقيد الايمان والعروة الوثقى ... وسل ان جهلتها الاخبارا
اسال الذكر والشريعة والتقوى ... اليفا ـ ومنهجا وشعارا
وولاء النبي والعترة الاطهار ... أهل الهدى .. سل الاطهارا
سل صديقا عنه وغير صديق ... وبعيدا اذا أردت وجارا
سل بيانا من النظيم جمانا ... وبديعا من النثير نضارا
كيف وهج السنا يذوب ارتعاشا ... وندي الشذى يرق انتشارا ؟
كيف وجد المحب ، هل أبطأ الوعد ... فحم الهوى وفاض اغتفارا ؟ ..
من رأى الشيخ قانتا عرف الصبح ... قريبا ، وأدرك الاسحارا
من رآه لدى الظهيرة والعصر ... رأى الورد راكعا والغارا
من رآه مع الغروب خشيا ... عانق الروع ها هنا اكبارا
دقة الطرف قصرت عن رؤاه ... فاعتلى حمرة المغيب وسارا

لبس الصوم والصلاة ، ولكن   منذ شعبان ودع الافطارا
للجنان الخضراء ، مأوى أحبائي   أينسى رحيقها أنهارا ؟! ••
وعد الحق متقيه نعيما   فاستحق النعيم وعدا ودارا
صفوة الحب ، ياقصيدة هذا العمر   هلي ، قوافيا أبكارا
شاءك الله في رحاب السموات   شموسا ، وفي الدنيا اشعارا
اجتلي صفحة القديم وخطي   من جديد مواقفا وذمارا
أكرمي الصدق في الولاء ، فها قد   غيب الافق شيخنا المعطارا
أيها العم •• يا اخا الود والعرفان   اكرم بما زرعت بذارا
بالحسين الزكي ، والحسن البر   وانعم بالمحسن الابرارا
طبت فعلا وطبت اصلا شريفا   فزكونا بفرعك استمرارا
طبت بالنخبة المريدين ، انى   صعد الجفن يلتقي الاقمارا
موكب الخالدين لا يعرف الموت   سبيلا ، ولا الحياة انحسارا
صدق اينما مضوا يفرشون الكون   في حلكة الدجى انوارا
كنت هديا اذا أدل خلوب   أو أشاح النواظر استكبارا
تصلح الضمن بالفضيلة والخلق   اذ الغير يصلحون الاطارا
سيظل الضمير يذكر بالفضل   طريقا أردتها ومسارا
تبتغي الحب والقرابة روضا   وخبايا نفوسنا أزهارا
ايه يا عم ، هل ابث جراحي ؟   عز الا بك النزيف أوارا

***

لست اشكو ولا ابين خبيئا   انت أدرى بما تلظى وفارا
كم قريب ، اسكنت بين الحنايا   اتقن الطعن صنعة وابتكارا
كم صديق انهلته القلب والعين   صفاء ، وعلني الاكدارا
حسبه انه تنكر للود   واني اعتنقته ايثارا
يكرم الصدق نفسه حسب صدقي   أنني لم أحد ، ولم أتوارا
لم تزعزع مروءتي مدية القوم   ولم أسلك الحياة صغارا
قيل ما قيل ؟! •• فاشهدي ياذرانا   شيمي انت رفعة واخضرارا
كلما ازداد ما يراود في النفس   لتزداد عفتي اصرارا
عم •• يا من سقا الاله ثراه   انا ادمنتها الصعاب اختبارا
يصبح الفرد امة حين تبلوه   وكم امة غدت اصفارا
كبرياء المحيط في هدأة الموج   وسائل عن عمقه البحارا
ايها العم ، لحظة ارتجي الذكرى   طريقا الى الوفاء منارا
ربما زحزح الستار عن الجرح   وهاجت آلامه اسرارا
ربما ضاق عن شمائلك اللفظ   فيا عم ، هل قبلت اعتذارا ؟
ان يقصر شعري ، فللنزف في القلب   بيان يستعبر الاحجارا
غصص الدمع في الفؤاد ، وكبر الدمع   أزكى الى الفؤاد نجارا
انت بين الضلوع ما زلت هديا   وستبقى محجة ومزارا

من مجالس الشعراء

محمد غازي التدمري

ما دامت المقولة الواقعية تقر بان فن المساجلات من الاثار الادبية المتكاملة والتي لا يمكن بأي حال من الاحوال بترها عن مسيرة الادب الجاد .. او تجاوزها على حساب شكليات الفن وايديولوجياته المعاصرة ونظرياته الحضارية التي حولت الشعر الى معادلات رياضية وطلاسم غيبية تحتاج لعقل الكتروني اكثر مما تحتاج الى قلب وعواطف وفكر واضح ففي هذه المنطلقات الذهنية لا يمكن ان نعيش حياتنا الفنيه بدون كلمة رطبة تلامس قلوبنا وتداعب عواطفنا وتدغدغ ذواتنا الغارقة في هموم ومشكلات الحياة الحضارية المعقدة .. حيث يتجلى في هذه الادوار للكلمه الضاحكة الباسمة دور هام يساهم في ازاحة اعباء الهموم عن ادران النفس المتعبة .

ولهذا الفن من أدب المساجلات الشعرية قيمة فنية خاصة تمليها ضرورة حياتية معقدة .. لا سيما وانها تعبير عن واقع .. وتصوير لمعاناة يعيشها الشاعر مع مجموعة من زملائه خارج حدود الكلمة واسار الرسميات . فتتلون بألوان ضاحكة مشرقة تعتمد الطرفة الوادعة محورا ترتكز عليه هذه الاثار بعيدا عن الهموم والمتاعب وضمن نطاق الادب وحدود الذوق وسياج الحشمة والاحترام .

ومن هذه المقولة ندخل مجلس الشاعر ــ مروان اتماز السباعي ــ لنتعرف على هذه الاثار المتبادلة بينه وبين عدد من الشعراء . فبعد زيارة الشاعرة ــ اقبال الرفاعي ــ لحمص واستضافة الشاعر السباعي لها ترسل اليه القصيدة التالية من ــ دبي ــ لتعبر عن شكرها وامتنانها للحفاوة التي لقيتها في بيت الشاعر الكريم فتقول :

وحقك ما عرفت الله ربي
وما اعطى النبالة والجمالا

ولا باركت وهج الشمس يوما
اذا ما النخل مدلها الظلالا
وأرقام الثراء كفرت فيها
وقد منعت عن الروح اشتعالا
فروسياتنا لا خير فيها
اذا ما البغل صال بها وجالا
الا مروان أنت النخل أنت
النبالة انت من ربى الرجالا
جميلك لوحة خضراء تبقى
تخضل مقفر العمر اخضلالا
وأسأل هل رسولي الشعر ادى
فروض الشكر واذ ذكر النفالا
وهل مطر الحروف أتاك يهمي
لينبت في صحاراكم خيالا
وهل نبض أصيل العزف لبى
بذاك الليل واخترق الجوالا
وأهداك احتراماتي يمينا
واعجابي واكباري شمالا
وهل ان غربة الايام حطت
على رمل الخليج بك الرحالا
تزر كوخا يسر القوم فيه
بأن تحتل كوخهم احتلالا
يقيني قد تجيب ولست ترضى
سؤال الود ان يبقى سؤالا

فيجيبها الشاعر السباعي بالقصيدة التالية وهي من ذات الوزن وعين القافية :

رسولك مد للامل الظلالا
وقصر من ليالينا الطوالا
واخجلنا تالقه بشكر
انشكر اذ نوفيكم منالا ؟
علينا حينما نسعى لامر
نبيل شكر من طرح السؤالا
مررت بروضنا ارجا كريما
افاض على أزاهره أخضلالا
تبادلنا المواقف مترفات
وجال قصيدنا طربا وصالا
وأمطار الحروف همت لحونا
لتوقظ في سرائرنا الخيالا
فما غاب الخيال على التنائي
ولا قطع البعاد له اتصالا
فيا رمل الخليج فدتك نفسي
فدت كوخا سنأتيه احتلالا
ويا رمل الخليج تركت طرفي
يعربد أينما شهد الرمالا
أأنسى ليلة والشعر زاد
لنا ، والراح تشتعل اشتعالا
وأنفاس الندامى بين مد
وجزر تسكب السحر الحلالا
يقيني اليأس ان ذكرت يقيني
بعودتها ولو بعدت مطالا
أنا نسر السحاب اليك يسمو
ليقطف من قوافيك الجمالا

وتسقط سهوا بكلة شعر لاحدى الحرائر في سيارته فيعيدها من الحديد الى الحرير مع الابيات التالية :

بكلة الشعر والهوى والمغاني
هي حقا عجيبة الافتتان
تركت كالحرير شعرا مدلى
وتهاوت سقيمة الاجفان
كيف فلت مكانها من نعيم
يحسد الله سحر ذاك المكان
كم بنان موله قد تمنى
لمسة الشعر يا حنين البنان
هجرت ملعب الجمال وفرت
وقلوب العشاق في خفقان

وترامت على الحديـد بصمـت
فتلالا مـن السنـا الفتـان

رغبت بالحديد خـلا وفيـا
يتقن الصمت رغم صرف الزمان

هو أحنـى من القلوب اذا مـا
مسها الحقـد فانبرت للطعـان

ورآهـا على الاسـى فحباهـا
رغم بعـد بعطفـه المتفانـي

رام للحسـن مهجـة وقلوبـا
رام للبدر جنـة مـن أمانـي

ليس عـدلا بعـادها عن حرير
ليس عدلا متاعب للحسـان

ضلت الدرب وانقضى عهـد وهم
مـات بالمهـد قبـل بـدء الاوان

عـودة للحرير يا بكلـة الشعـ
ـر وطيري الـى الهوى بأمـان

ويطلع على هذه الابيات الشاعر الكبير ـ سليمان العيسى ـ فيكملها من عنده قائلا :

عـودة للحريـر يلتهب الليـ
ـل حنينـا وتستفـز الاغانـي

عـودة وازرعي على موجة العطـ
ـر ندائـي وريشتـي وبيانـي

انا والشعر في الحريـر خيـال
يوجـز العمـر كلـه في ثـوان

انا والشعر حسبنا يا كروم الشعـ
ـر انا على الهـوى جـاران
العناقيـد والدنـان عطـاش
تشعـل الليل رشفة يا دنانـي

ويقدم الشاعر السباعي الى صديقه الشاعـر ـ احمد حمشو ـ قداحة غاز من نوع ـ الون ـ ولكن هذه القداحة تحرن في يد الشاعر احمد حمشو فـلا

تعمل بشكل مناسب فينزعج لهذه الهدية التي تحمـل منة هديتها فيكتب اليه هذه الابيات :

قداحة ـ الون ـ ماونت وماقدحت
ياليتها حجـر الصوان منحـوت

لكان خيرا وعدنـا لا يؤرقنـا
وعد الكريم وقلنـا عمـر البيت

بالله قل لي جزاك اللـه هل رجعت
بنا القـرون وهب اليوم هاروت

قداحة ـ الون ـ لا فرع ولا نسب
وليس يحملها في القـوم عكـروت

١٧ـ٢ـ١٩٧٧

وعندما تصل هذه الابيات للشاعر السباعي يرد عليها بأبيات يخبرنا فيها بأن العيب ليس بالقداحـة وانما باليد التي لا تعرف استعمال مثل هذه القداحـة التي لا يحملها غير علية القوم فيقول :

يا هاجي النار ام النور والشـرر
مثواك يوم نشور الخلق في سقـر

قداحـة الون اذ تعطيك لهبتهـا
كالقلب مشتعل النيران مستعـر

جار الزمان وجاء الحلس يقدحهـا
فماتت النار عند الساعـد القذر

كذا الاصيل يعيش الدهر مؤتلقـا
وينثني عن تماس المزعـج الاثـر

فاللؤم يطفىء سحر الهدب مؤتلقا
لذا قضت يا شقي قداحـة الدرر

خلال اطلاعي على اثار السباعي ومساجلاتــه وجدت ان معظمها على ما يبدو يدور بينه وبين صديقه الشاعر احمد حمشو فبعد مساجلة قداحة الون يكتب الشاعر ـ حمشو ـ الى الشاعر السباعي يعاتبه فيها بتقصيره عن تقديم مخصصاته من زجاجات الويسكي وكانت على ما يبدو زجاجة واحدة في السنة :

حتام تأتيك من دنياي معصيـــة
والامر معصية والله غفرانـــا

تعتق الكـرم احشائي بما خصبت
وتنهل الشفة العنقـود ريانـا

ـوسكيـوسبحان من يهدي لصنعتها
فاقت برونقهـا الاشعـاع الوانـا

كرقة الطفـل يرنو أمـه سهـدا
أو الخواطر ما تمليـه احسانـا

اسلو همومي واحزاني أسهدهـــا
واستفيض لبانـــات والبانـــا

يمضي الربيع ويمضي شوقنا معـه
وما تعودت غير الشوق احيانـــا

من سكرة في خريف العمر ظامئـة
تفجـر الشعـر أنغامـا والحانـا

لي كليتان على التبريح لاهبـــة
والخمـر أجرعها في الليـل ظمآنـا

من لي بمروان هل دامت مودتـــه
عهدي بـه لم يزل مروان مروانـــا

لا يصطفـي الشعر الا صاحبا ولها
بالشعر يقرضـه تيهـــا واوزانا

يمضي الربيع تباشير الهـوى معـه
وقد نسيت تباشير الهوى الآنـــا

وبعد ان تصل هذه الابيات للشاعر السباعي يبادر الى دفع الغرامة من الوسكي مع الابيات التالية التي يرد فيها باسلوب ساخر ضاحك على ابيـــات صديقـــه :

مودتـي لك لم تمسسها منقصة
فالدن ما زال حتى الآن نشفانـا

تعكر الخمر في الاســواق يخجلنا
خوف الاساءة من تفسيرهم آنـا

كم سائق بفنون النصب دوخنـا
وقد صبرنـا على التشليح ازمانا

لو كنت حرا كما اهوى لصفت لكم
من المشارب اشكالا والوانـــا

لكنـه قـدر قـاس يهـددنـا
بالفقـد حينـا وبالتقتير أحيانـا

ضاع الربيع وضاعت منه فتنته
وتقطع العمر تصبيرا وسلوانـــا

ان الاكارم ان ضاقت بهم سبـل
صبوا على القدر المشؤوم نيرانـا

دع الخمور وخذ منا تحيتنـــا
واشرب من الحب اقداحا وادنانا

كأس المحبة ان دارت على حجـر
لارقصت من رحيق الحب اوتانا

نادى الاله ، احبوا بعضكم بعضا
وانذر المرء مخمـورا وسكـرانا

فاخش الاله ودع خمـرا ومعصية
ولا تطع في طريق الخمـر شيطانا

كم انعش الحب بين الناس افئدة
واهلكت خمرة الوسكي انسانا ؟

فالابيات على الرغم من عفويتها ومن كونها رد على قصيدة يستشف منها روحا انسانية تنطلق في كوكبه الحب الانساني المتجاوز لحدود الذات وهذا الموقف حتى وان كان ظاهره تهربا من دفع غرامة الويسكي لصديقه فانه يحمل في ابعاده روحا انسانية عظيمة الشأن ومع هذا فان الشاعر احمد حمشو لا يقنع بحكمة صديقه ويبقى في شكاة من امر فراغ الكأس فيكتب اليه يسأله ان كان في فراغ الكأس ما يوقظ الصبا فيقول :

هل في فراغ الكأس مايوقظ الصبا
وعند اصيل الشمس هل يبزغ الفجر

وان الذي يشكو من العمر خمره
تولى فلا عمر هناك ولا خمر

وانك يا مروان في الساح فارس
وانت المجلى عندك النهي والامر

وسرحان في وقر فلا يسمع الندا
وقد زاده في حرصه الصم والوقر

وشعري أرى شعري حبيسا فلم يجد
وان جدت جاد القلب والروح والشعر

فماذا سيكون جواب الشاعر . هل ينعي هذه هذه المقولة . ويعيد على اذهان صاحبه مواقف الحب والفضيلة ويمطره بسيل من مواعظه او يقر بأن فراغ الكأس يوقظ الصبا ... هذا ما سنراه في رده على القصيدة السابقة بقوله :

نعم في غياب الكأس ما يوقظ الصبا
جمال به الاحداق تصفو وتزهر

وأعتى صبابات الهوى قلب عاشق
يحن الى الاحباب والصب يهجر

وانك في درب المحبة مولع
وترغب خمرا للعواطف تظهر

فمن ود .. اطفاء الهوى بخموره
كمن زاد جمرا والصدور تسعر

أفديك من صاح به الشعر والهوى
به القلب يرنو للجمال ويسكر

اليك من الاقداح ما يجعل الدنا
جنانا وخل الشعر ينهى ويأمر

٢٨-١-١٩٧٤

وهكذا نخرج من مجلس الشاعر السباعي وفي ذاتنا اكثر من خاطر وسؤال عن طبيعة هذه المساجلات التي يرى فيها بعضهم مضيعة للوقت وملهاة يتلهى بها المترفون حول . مواضيع خاصة وصغيرة جدا فماذا قدمت قصائد القداحة او القصائد المتداولة حول الشراب وطلبه .. انها قد لا تحمل ذلك المضمون الذي يطلبه اصحاب الايديولوجيات الجديدة في الشعر المعاصر .. فهذه المساجلات مع سذاجة مواضيعها وبساطة مضمونها .. انها لا تخلو اولا من بعض الملامح الانسانية الشمولية التي تجاوزت حدود الذات لتضم العالم الانساني كما انها ضمت في بعض صورها شيئا من حكم الحياة المستخلصة من طبيعة معاناة الشاعرين في الحياة بكل فروعها وصنوفها، ثم ان هذه المساجلات هي كما قلت تبقى فنا متداولا له جذوره في التراث الشعري ثانيا .

ومن هذا المنطلق لا يمكن الا اعتبارها مكملة لمسيرة الادب الجاد في اي زمان او مكان .

محمد غازي التدمري

١٤-٨-١٩٧٨

ديوان العـــواد

علي المصري

صدر عن دار ـ مطبعة نهضة مصر ـ الفجالة ، القاهرة ، الجزء الاول من ديوان الشاعر الكبير محمد حسن عواد ، أحد أعمدة الادب وأساطين البيان في المملكة العربية السعودية ، وعلم من أعلام الفكر والتجديد في الوطن العربي ، حمل قلمه منذ نصف قرن ونيف من الزمن ، فكتب النقد والتاريخ والعلوم والفلك والسيرة ، ونظم الشعر فأجاد وبرز ، وما زال يرفع راية العلم والادب ، ويطل علينا كل يوم بجديد .

يتضمن هذا الجزء الاول من ديوان العواد ، ثلاثة دواوين هي : أماس وأطلاس ، و البراعم ، ونحو كيان جديد . لطبعته الاولى عام ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

زين صدر الديوان برعم برتقالي يتنامى ويتنامى في باطن الارض ، الى ان تنبجس قشرتها فتطلع برعما صغيرا يانعا يحمل . ثلاث وريقات برتقالية اللون فيها رائحة ولون اللهب ، تمثل الدواوين الثلاثة ـ الانفة الذكر ..

وفي الافق اللا متناهي في الزمن ، تنشق السماء عن شبح بلبل صداح ، يسكر الكون بأنغامه الشجية ، ممثلا للحس الموسيقي ، والجرس الشعري الذي تسربلت به أشعار العواد عبر دواوينه الثلاثة ، فعطرت سماء الجزيرة العربية بديمة من النغم المنسكب من حنجرة العواد،الذي ملأ دنيا بلاده وكاد ان يشغل الناس .

وزرقة لا نهائية الابعاد تملأ صفحة الديوان ، تتوسطها رقعة أفقية انسيابية بيضاء صافية تمثل ارضية البرعم . وأظنها تمثل الصفاء والنقاء الذي تتمثل به أرضية الشاعر الفنية ، ونفسه التي يملؤها الالق والبراءة ، في سماء الادب الزرقاء السرمدية الاديم .

أما ظهر الديوان فيمحل وساما علقه شاعر الليالي التي لا تغرب لها طوالع ، ولا تطلع لها غوارب، شاعر الحب والجمال والرومانسية الدكتور ـ احمد زكي أبو شادي ـ اذ يقول : محمد حسن عواد .. من أولئك الشعراء الموهوبين المحسنين ، رغم اكثارهم الذي يزكون به عن عجز سواهم او كسله . وشعره ذو الوان . ولكن معظمه رومانتيكي . وانه لمجيد في كل ما عالجه . لان فنه يصدر عن طبع حساس ، ناضج ، متفتح للثقافة المتواصلة ، ولا نعرف شعرا رفيعا كأن عماده الجهل والضحل والنقل والسرقة الاستيعاب والبهارج الخلابة ، التي قد تفتن جيلا قريبا منها ، ولكنها لن تظهر باحترام الخلود .

ان نماذج التحرر والابتداع في شعر العواد ، لجد كثيرة ، وما ننوه بها لاننا نريد التنويه بشاعر معين ، فاننا لسنا ممن يتحزبون للاشخاص ، وانما ننــوه بالجمال أينما كان ، وفي جميع صوره ومذاهبه الحرة الاصلية ـ .

قدم للديوان العام ، كالعادة ، العواد بنفسه ، وهذه خله من خلال العواد يتبعها في كل اثاره . عرض فيها رغبة الصحب في جمع اثاره الشعرية ، في ديوان عام من جزء او ثلاثة اجزاء . وقر قرار الشاعر أن يكون في ثلاثة اجزاء :

آ ـ الجزء الاول .. ويحوي ثلاثة دواوين هــي ـ أماس واطلاس ، والبراعم او بقايا ارماس ، ونحـو كيان جديد ـ وهذا ما نحن بصدد دراسته الان .

ب ـ الجزء الثاني .. ويحوي ثلاثة دواويــن أخرى ، هي ـ الساحر العظيم ، وفي الافق الملتهب ، ورؤى أبو لون ـ التي نرجو من ترى النور قريبــا بثوبها القشيب الجديد .

جـ ـ الجزء الثالث .. ويشتمل على ديوانين ، هما ـ قمم الاولمب ، وفي افاق النسر ـ .

مراعيا صاحبها في هذا التقسيم ، التسلسـل الزمني لمواعيد انتاجها .

اذا قدر لنا ان نبدأ الرحلة مع العواد عبــر دواوينه الثلاثة ، وهذا ما نحن عازمون عليه باذنــه تعالى ، وخطونا الخطوة الاولى ، فاننا نستقبل خـير استقبال عند الاهداء ، حيث يقول الشاعر : ـ

الى الكنز الانساني الخالد الذي لا يفنى ..

الى الذخيرة التي يمثلها الشعور والفكر والخيال ..

الى العناصر التي صدرت من القوة والحقيقة والجمال .

وترجع الى القوة والحقيقة والجمال ! ..

الى النفس والطبيعة والحياة ! .

اليها .. ! اهدي هذا الديوان على امل انه سيضيف الى سحرها نفثة صادقة والى بحرها موجة دافقة ، والى عزتها القديمة السابقة عزة جديدة لاحقة .. ـ .

ثم ننتقل بعد ذلك الى المقدمة . مقدمة الديوان ـ التي وضعها الاستاذ العواد بنفسه كعادته ، وتعتبر هذه المقدمة سانحة في سماء الخيال الذي يتشامـخ ويتشامخ حتى يجوز المدى فيتعانق مع خيال جبران وغوته على شرفات غيمة قزحية الرؤى ، ورديــة السديم ، يتدلى القمر منها جدائل من الياســمين وسقفا من الحناء والبخور . يتحدث فيها الشاعر عن ما هية الشعر ومكوناته وموضوعاته ، وعن البــذور الغامضــة التـي تبتعثـه في غيابـات النفس وغيهب الروح ، فيقول : ـ والنفس الانسانية بحر مصطخب الامواج تكونه موجة تتلوها غيرها ، حتى تفسح لهذه النفس افاقا جديدة ، تنقلها الى أفق منها ، يقابلــه افــق :

فمن قوة يقابلها ضعف !
الى يأس يقابله أمل ! .
ونعماء تقابلها بأساء !
وحب يقابله بغض !
ونجاح يقابله اخفاق !
ووجوم يقابله تفكير !
وجمود يقابله انطلاق !
وحيرة يقابلها عزم ومضاء !
ومرح وانشراح يقابلهما أسى واكتئاب !
ومن هذه العناصر مجتمعة ومتفرقة يتكون الشعر ـ .

وفي اعتقادي ، ان هذه المقدمة ان لم تبز الشعر ، فهي على الاقل لا تقل عنه روعة وجمالا وموسيقيــة ودندنة منغومة ، وقد تفوقه معنى وعمقا وشمولية ، وتتجمع فيها زبدة تجربة قاسية مريرة عاناها العواد وحملها صليبا تعذب عليه ردحا طويلا من الزمـن ولا زال مصلوبا على لظاها يغذ المسر ، وليت المقام يسمح بدراستها في موضوع مستقل ، لانه فيها تكمن عبقرية العواد ، وتتقعد معالمها ، وتنعقد ثمارها دانية القطوف ريانة الجنى .

نلج بعد هذه المقدمـــة الطريفة الى واحـــة ـ الاماس والاطلاس ـ الديوان الاول في هذا الجزء ، حيث تصافحنا قصيدة تحمل العنوان نفسـه ـ اماس واطلاس ـ لم تكن موجودة في الديوان الاول ابان طبعته الاولى ، وقد اشار الشاعر بحاشية الى ذلك يقول : ـ هذه القطعة ليست من منظومات العهد الذي نظم فيه شعر الديوان ، وانما نظمت حديثا ، اثناء تقديم الديوان للمطبعة ، لتكون كتعريف له،وتفسيرلاسمه ـ :

هذه الاماس ! قـد ذهبت
في ضمير الغيب والابـد
كل امس من أوابدهـــا
قطعـــة من هذه الكبـد
انهـــا امـاس مبتـــدر
في حياة الشعر ، منفـرد
عاشــها طفـلا على أمـل
مبهم ، في الطفل ، منعقـد

★ ★

ثــم وشتهــــا ، اناملـه
صحفـــا محدودة العـدد
أعلنت فيهـا الحياة رؤى
ملـت الكتمان فـي الخلد
واخيرا قد تطلس مـــا
قد حماه الفـن مـن فنـد
كل طلـس راح ملتمســا
أيدي الاهمـال واللـــد
غير ان الخلـد جاذبــه
للبقاء الحـر كــل يـد

★ ★

فهـــي ذي آماس مبتـدر
نافســت أيـــام متئـد
وهي ذي أطلاس مبتـــده
أخملت آثـــار محتشـــد
لست أهديها الـــى احـد
فهي نجوى ، ذلك الاحـــد

هكذا عرف لنا العواد ـ أماسه وأطلاســـه ـ وحكى لنا قصة عهود الشباب التي ولت ، تحمل مزقا من النفس ، وفلذا من الكبد في رواحها وغدوها ، مع طفولة هومت في رياض الشعر تجتني زهرة من هنـا وتقطف ثمرة من هناك ، حتى تكونت هذه الباقـــة الجميلة ، فواحة الشذا منعقدة الثمار . تروي حكاية الرؤى التي ضجت بها نفس الشاعر ، وغالبته ، حتى افتضح أمره ، فنام بشرا ، واستيقظ شاعرا محوطا بسياج الفن والابداع من عوادي الفناء ، خالدا علـى مر الزمان ، طالما هناك بشـــر يقرأ ويرتل الاشعار ، صادحا مغردا في سماء الحرية النقيـة ، التي ارقت العواد ردحا طويلا من الزمن .

وهاهو الشاعر العواد يقدم آماسه وأطلاسه ، غير مطلوسة ، بل رائعة مشرقة كنفسه الصافية التي تشربت الحياة ، فمنحت الحب للناس والحياة للادب ، مادام البشر يتنفسون علىأديم هذا الكوكب المسحور . أجل .. هاهي اماسه وأطلاسه ـ كالوشم في ظاهـــر اليد ـ دليل خير وينبوع عطاء ، للحياة ، لخالق الحياة ومدبر هندسة هذا الكون ، فهل هناك اهداء ، اجمل من هذا الاهداء !؟ ..

فنعم الهادي ، وتجلت قــدرة المهدى اليه ، وتباركت عطاياه ومواسمه .

واذا قدر لنا ان نسافر في رحلة مجد عبر موانىء الديوان ، بين حقول الشذى والعبير ، ودخان الحرائق ورائحة الشواظ ، مع أنفاس شاعرنا العواد اللاهثة على نصاع الطروس ، لاستقبلتنا اطلال قصيدة دراسة ـ كأطلاس برقة ثهمد ـ بعنوان ـ وحدة العرب ـ لم يبق منها الدهر غير ـ أثافي سفعا في معرس مرجل ـ ويلحظ الشاعر الى ذلك بقوله : ـ من قصيدة فقد اكثرها ـ .

آه ، ما أقسى عاديات الزمان يا أخا الشعر ؟!

يفتتح العواد قصيدته ـ وحدة العرب ـ والتي ضاع معظمها ، بقوله : عرب الجزيرة !

نداء حار موجع يحمل فورة الدم المتدفق فـــي شرايين الشاعر الشاب آنذاك !

نداء يوقع دقات قلبه في صرخة ملهوف محرق الفؤادعلى عرب الجزيرة !

فهل سمعوا النداء ؟؟ ! ..

عرب الجزيرة ! كم تكون سعيدة
هذي الحياة بوحدة الابعـاد !

وبعد هذا النداء المبحوح ، الذي يلهب القلوب الظامئة الى العزة والكرامة والوحدة والرجاء ، ينفلت الشاعر الى افاق قصية المدلول عميقة المعنى :

تتوحد الاشتات في مجموعها
ويعزز المجموع بالافـراد

معادلة رياضية ، وهندسة مستوية ، وقاعـدة ثلاثية في التناسب ، هذه هـي الخلفية الذهنية وراء مخزون هذا البيت :

تتوحد الاشتات .. أين ؟ .. في مجموعها !!

ويعزز المجموع .. بمـاذا ؟ .. بالافراد !!

أليس هذا ، دلالة راسخة على العقلية العلميـة الفذة ، التي امتلك الشاعر أعنتها ، أوليس لعـواد عالما ، كتب في الفلك والعلوم والرياضيات ، فسكنت هذه المخزونات العلمية عالمه الداخلي ، حتى أتيح لهـا لحظة انعتاق ، تحت تأثير تألق الوهج ساعة التلقـين المبدع والعطاء الشعري ، فتدفقت سهولة ويسرا ، لتطبع البيت بطابع منطقي رياضي لا يقبل الجدل ، ولا يخضع للمناقشة ، في أن الوحدة قوة ، والقوة كامنة في الوحدة .. للـه درك أيها العواد !!

اين هم المنظرون العرب ؟؟ ليتعلموا علىيـدي العواد !!

فيقوم من بردى الى صنعائها
امل يرن صداه في بغـداد

ومن القصيم الى ربى غرناطة
تبنى الحياة عميقة الاوتاد

امال مشرقة في الوحدة والمنعة والقوة ، صنعاء، بغداد ، دمشق ، القصيم ، الفرناطة ، الحيـاة . وذكريات حميمة في غرناطة .. غرناطة وينفتح جـرح عميق ، في ضمير كل عربي .. جرح اكبر من مساحة الطعنة ، وفوق مخالب المأساة .

لم يبق في قوس التصبر منزع ، لـذا ينتصب العواد وجها لوجه ، امام جماهير الامة العربية العرباء، يوجه اليها الخطاب بصورة مباشرة وتقريرية :

فدعو التفرق والتدابر جانبا
حسب اللبيب دسائس الاضداد

فأين هم الالباء ؟ .. ليسمعوا هذاه الصرخة من قلب جزيرة العرب مهد النبوة والبطولة والعطاء .

ثم تتطامن ثورة الشاعـر ، ويخف أوارها ، فيلين جانبه ، وتخفت حدة دفق النجيع الاحمر فـي خلاياه المتوهجة ، ويعود الـى طبيعتـه بشرا سويا ، فيدعو الى التسامح والتساند ، اقتداء بالسـلف الصالح :

والى التسامح والتساند ، يابني
قومي ، ونحو مكارم الاجداد

عتبا عليك يادهر ، كيف جرؤت عجلاتك ، طي أبيات هذه الملحمة المكتوبة بوهج الدم الحار والمرصوفة بحجارة الاعين ؟! ..

صفحة تطوي ، وتطل عليك ــ وجوه ــ ، أفمـا ترى ؟؟؟ أفما ترى ؟

قصيدة فيهـا من التبتل البكـر على أبواب السؤال ، في تناوب مستمر بين الانشاء والخبر مـا يشدك اليها ــ بأمراس كتان الى صم جندل ــ فترى جمال القبح في تلك الوجوه ، وقبح الجمال في أديمهـا الذي جفت من عروقه أمواه الحياة ، فاستحالت الى صخر اصم تمثالا للشناعة والبشاعة ، مما يجعلـك تعبس وتتولى فما كان الا ماتراه في :

صلد الصفا ما ان تقاس ـ صفاقة ـ بأديمها
والمخزيات بأسرهن : جد يدها وقديمها
صور على تلك الوجوه العاريات من الحياء
الناضبات من الرواء بذلها وسهومها
الخاشعات الى الثرى !

ثم ، مع قصيدة اخرى ـ مع الورقاء ـ ، خاطرة شعرية من سوانح الخيال ، حينما راح دبيب الهمس يتواصل ما بين شاعرنا العواد وصديقه الشاعر ـ عمر عرب ـ في نأمة صوفية تتحدث عن الجوى الذي اذكى لهيبه نواح ورقاء ، لوحها فراق الالف،فراحت تسجع على الايك الحانا ، تحمل مزق الفؤاد ، فاها ، أه !
غانية الايك ، سقاك السحاب !
نوحي معي .. قد راقني الانتحاب
حركني المغرم ، في وجده
فالحب اضناه .

هذه الانة المكلومة ، نفثها العواد من حرقة قلب كسير ، ابياتا فيها من الرومانسية والتجديد والابتداع ما يرقى بها الى مرحلة موغلة في هذا العصر ، تسابق الكثيرون من الشعراء على السبق اليها .. فأين هو، من العواد ؟! .

وحين ألقاه ، لكفي قريب
أقول يا طائر ، هلا تجيب ؟
معذبا اكثر في سهده
ـ اها ـ و ـ اواه ـ ؟

نقلة اخرى ، مع قصيدة اخرى ، وتتداعى خواطر الشباب بعنف زوبعة لا تبقي ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها موجة تصميم عنيد لايقاف شلال الحياة المتدفق في جسد انسان على شفى حفرة الانتحار .. فهاهي قصيدة خواطر منتحر ـ نظمها العواد على لسان مريد الانتحار ، فنرى أشلاء الحياة ، وذمار النفس الانسانية تعصف بها رياح مجنونة ، فتذروها بين السطور ، هشيما لا تحدده معالم ، رمادا تسفيه الذاريات . ونلمح صراعا عنيفا بين الحياة والموت ، يتربص بين كل سطر ، ووراء كل بيت !

ونفتش بين ارماس المعاني التي طوتها معركة الحياة والموت ، عن سبب هذا الانتحار
أضيق بالحياة ، أم بالناس ؟! ..
أشذوذ ، أم جنون ؟! ..
اوساوس افترست الظنون ؟! ..
ألحاظ وطف ، استلبت العقل واستبدت بالفؤاد ؟!
أم قامة هيفاء ، أخجلت رشاقتها الظباء ؟!

لا .. لا .. ليس هذا ولا ذاك .. بل هو الحزن على شعب راح نهبة للفوضى وطعما للشقاء :

المواسي !! هيهات عز المواسي
في حياة ، تعرضت لافتراس
لا يقل من يقول : مابك ؟! مابي!
نهب حكم ، من منطق الناس ، قاسي
بي شذوذ ، او قل : جنوب ، وان شـ
ـئت فقل نوبة من الوسواس
لم تثرها حسناء ربة لحظ فاتـ
ـن فاتر بغير نعاس
مخجل خصرها ، غصون رياض
فائق جيدها ظباء كناس
لا ، ولكن اثارها شبح الفو
ضى بشعب محطم الاساس
الى ان يقول :
انما الفقر والمخاوف طرا
كمن تحت هذه الاساس
وكراسيك جد مبتذلات
وزعت بين عصبة الاتياس
من سخيف ، ومن رقيع ، ومن معشو
شب الذقن ، مؤثر للنعاس

ثم نقف عند القصيدة التالية ـ جنون الناقدين ـ هذه القصيدة الذائعة الصيت التي طالما تحدث عنها الدارسون والنقاد والادباء في مجالسهم ، وشغلت حيزا من احاديث السمر ، تماما أشبه بصدى الاماسي في كرمة ابن هانىء يوم كان لفيف رواد النهضة يسمرون عند امير الشعراء شوقي ، وعلى الاخص ، طرفة ـ ياليل الصب متى غده ـ التي عارضها ، شوقي

واسماعيل صبري وولي الدين يكن ، عندما صدحت بها إحدى مغنيات ذاك العصر ، فذاع صيتها وانتشر خبرها .. وهنا يحكي لنا العواد بكل ما فيه من صفاء وشفافية ، قصة هذه القصيدة يقول : نظمت هذه القصيدة عندما عزمت على طبع كتابي ــ خواطر مصرحه ــ في عام ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٥ م فعارضها كل من الاخوة الزملاء ، عبد الوهاب اشي ، محمود عارف ، حمزة شحاته ، محمد علي باحيدره ، عباس حلواني . ثم اعتزمنا نشر هذه القصائد في مجموعة ، قدمت لها بمقدمة نثرية عن التفكير الحر ، وسمينا المجموعة ــ نفثات حرة ــ ولكنها لم تطبع لاسباب اجتماعية ، وقد نشر الاستاذ الاشي فيما بعد قصيدته في مجموعة ــ وحي الصحراء ــ بعنوان ــ الحق اجدر بالنصر ــ ، ومطلعها :

خطرت تأطر غادة حوراء مرهفة القوام ..

وقد اشار فيها الى ارائنا ، وكتابنا المنتظر ــ خواطر مصرحة ــ بقوله : ففدا يجاهد لايرى في سعيه غير الظلام . وقوله : شغلت خواطره ، فأصبح لا يقر له قرار . كما أشار الى بعض ابيات قصيدتنا بقوله : فالعقل فوق الحس ، لا يوهي التطرف عزمكم ... وهذه قصيدتنا :

ثم يورد شاعرنا العواد نص القصيدة ــ جنون الناقدين ــ :

خطرت تجر رداءها الشفاف نشوى بالجمال
تيهاء تسدله على اعطافها الهيف الثقال
وتدل بالخصر النحيل ، يعاند العجز المهيب
هذا يريدلها القعود ، وذاك ينهض بالوثوب

فيثور وقد العاشقين
وارحمتا للعاشقين !!

بهذه الاشراقات الشاعرية، والومضات السحرية، تطل علينا أبيات القصيدة ومقاطعها سربلة بريش النغم ، ترفل بأثواب الجدة القشيبة من سندس واستبرق ، متأودة بشلال متدفق من الصور الجميلة الخلابة ، و ــ سلمى ــ تتثنى بقدها الاهيف ، وقد جمعت زرقة البحار بعينيها ، ولالىء المحيطات على جيدها ، وغوارب الامواج تصطخت في صدرها ، وأزهير الرياض تنور في خديها ، فيقتتل ورد الحدائق حسدا من حمرة وجنتيها .. ياويلتاه من الخدود ، يا ويلتاه من العيون !! ..

قصة سلمى هذه طويلة ، طويلة على امتداد أبيات هذه القصيدة الرائعة،اطول من مدات ــ العتابا والميجانا ــ على ذرا بلادي ، وأطول من حكايا الرمال الظمأى على امتداد البوادي في نجد ، المضمخة بالمجد والغار على ياعرار نجد ! .

فهاهي ــ سلواه ــ تنساب عبر خياله الخصب ــ صفراء كالسيراء اكمل خلقها ــ يعلوها شحوب ولا شحوب ، رقيقة عذبة حالمة ، تتقصف بكشحها الهضيم ، وكأن الشاعر يخشى خيال اهداب عيونها ــ المرضى الصحاح ــ ان يجرح نعومة خدها ، فكيف ؟! كيف ، لو اسرف الخيال غلوا ، عبر مسارب القصيدة البليلة ، فاذا باللالىء تسح كدميعات المطر ، من مقل أذبلها رفيف الحسن.اذا ما انسقنا مع خيال العواد ، مبهورين ، ووطنا الذهن على ذلك .. فجأة يرتد الخيال مذعورا ، فاذا الشاعر يقف امامها مبهورا ، يرقأ نزيف الروح المتفجر هتانا مع الدموع على صفحات الخدود ، يرنو اليها بلهفة يواسيها، ويشهق بسؤالها عن فراق الالف ؟! ياللمفاجأة !! انها بلا خدين ؟!

وهنا تتدفق مزق انفاس الشاعر العواد لاهثة على اطراف السؤال ، يرجوها يستعطفها ان تجيب . فلا تجيب . وتحت غمرة الفيض الجارف لاسئلته المتدفقة التي لا تنتهي ، وكأن الشاعر بذلك ينتهب الزمن ، ويختصر المسافات ، ليعرف منها مالا يعرف. وتستمر حمى الاسئلة تجري على لسانه حتى نهاية المقطع ، ونحن نركض معه متقطعي الانفاس على ارضية معانيه العسجدية : ماذا ؟

ماذا ؟ بربك يا سلمى ، مادهاك ؟ تكلمي ؟!

خطب ألم ؟ .. أم الهناءة .. آذنت بتصرم ؟!

أم ذاك .. تأثير الغرام .. على فؤادك هاجة ؟!

ففدوت فيه .. تحاربين هياجه ولجاجه !!

وبوقعه تتألمين ؟

ولشد ما تتألمين ؟

أجل .. ولشد ما تتألمين ؟ .. انه هو العواد .

حفر الالم في نفسه اغوارا قصية بأسافين من الوجع ، والاغتراب ، والقهر . وبلحظة انفلات من ضوابط العقل ، تنهار السدود ويندلق الجوى فيها ، وتستعر المعاناة من خلالها ، نعم فيها ، من خلالها ، في سلمى التي صنعها من وهج النعمان في عروقه ، من فتات قلبه وريشات فؤاده، لتحمل ملامح أساه هو ، وتجاعيد الالم الراسب في عقله الباطن ، وغضون الكآبة العميقة الجارحة الساكنة خاطره .

العواد شاعر فنان .. يريد سماء للاله الذي فيه .. والحياة ترابيــة قاصرة لاتشبع سغبه ، ولا تروي غليله ، اذا فما العمل ؟! . الى الخيال ، الى الخيال نمتطي متنه مع العواد ، نمزق المسافات ونحرق أسوار الثواني ، لنصل الى برزخ المحجة والخــلاص معه !! . فهل اوصلنا العواد ؟؟ . .

نعم . اوصلنا العواد . ونحن على علم بالوصول ..ولكن ما حيلتنا بهذا الخيال الجامح ، الذي يجوز الذرا ، ويختصر الزمن ، ويبدد المسافات ؟! . .

العواد موجــود .. والوجود لا يسعه ، ولا يستوعب طموحاته .. لان الوجود عند شاعرنا العواد هو أن يلمح البسمة على كل الوجوه ، والرغيف في كل الافواه ، والحرية لكل الناس ، والشعر والمحبة والسلام على كل هدب وشفه .

فالوطن مكبل بالاغلال ، والانين يزلزل الاصفاد، والناس حوله يضحكــون من صعوبة البكاء ، فكيف يهدأ ، وكيف يرسي على قرار ؟! . .

اذا فليمـــزق روحه غناء حلوا على الليــل ، ولينتف قلبه قواف ينشرها على الافاق بشيرا ونذيرا .. واسمع من الوطن الانين . .

آه .. لتأثير الانين !!

وبعد . هذه اقباس من ملحمة العواد ــ جنــون الناقدين ــ فهل استمر ؟! .. هل للكلمة القدرة على حمل وهج لهيب التجربة الشعرية الحارة ، التــي ابتعثت نبرة هذه الملحمة الرائعة في ضمير العواد .. الجواب !!

نعم .. سأحاول .. ولكن كلي امل ان تعذرني يا قارئي العزيز ، اذا ما رأيتني منصهرا ، تحت تأثير حرارة التجربة الشعرية ، وشاهدتني مزقا بــين السطور ، حطاما لا تحدده معالم .

ستقول : انك ناقد .. وعلى الناقــد .. ان يتناول الاثر بموضوعيه !

وأجيب نعم .. اني ناقد ودارس لاكثر من اثر، وعضو في اتحاد الكتاب العرب ، وجمعية النقـــد والدراسات .. وشاعر ! ولكن ما حيلتي ، اذا كنت انفعل مع الاثر الفني ، واتغلغل كما يبدو لي الــى اقصى خباياه .. ما حيلة الوردة تجاه تضوع عطرها ، ما حيلة الصوت في أن يسمع ، ما حيلتي مع الجمال اذا كان يبعثرني ويجمعني ويستلبني من الاعماق ويعلقني على نوافذ وجده ؟؟ . .

صحيح انه على الناقد ، ان يعيش بصورة واعية .. ماعاشه الفنان بصورة غير واعية ، هذه هــي الموضوعية في النقد والدراسات ! . .

قانون ... وضعه صاحب السلطة ، ومالـك القانون !!

أجل .. ولكنني فنان .. فنان ثائر .. اريـد ان اعيش لحظتي .. ارغب بالخروج على الموضوعات كلها .. اريد ان امزق اثوابي المسبقة الصنع .. اريد ان اختار قدري بنفسي .. أختار دربـي اسلوبي ، طريقتي .. ولادع الناس وما يتقولون !! في ليلة قمرية من ليالي الصيف ، جلست الى نزار – كلكم تعرفون نزارا .. نزارا قباني – شاعر الحب والجمال والانسان .. جلست أقرأ عليه مقدمة كتابي – رحلة شوق مع نزار قباني – فرأيت دموعا تلامح في عينيه ، تساوي عندي الدنيا ومالديها .. ونصحني ان لا انجرف مع تيار هذا الحب الغامر لادبه ، اذ سميزقني النقاد أربـا !! ..

ونصحني ان لا اسرف في شرح معاني القصائد بلغة واسلوب ، ان لم يكونا في مستوى القصيدة فـلا يقلان عنها جودة – الكلام طبعا لشاعري نزار .

فأجيبه .. ليس ذلك بمقدوري ياعزيزي !!

هذا هو قدري .. دعوني اعيشه كما اشاء .. واكتبوا ما شئتم !!

اذا .. هذا مذهبي في الدراسة ، وهذا دأبـي وديدني ، فعيني لا تقع الا على الجمال ، واما مناظر القبح ، فاتركها لغيري .. هذه هي جبلتي ، فهل املك لخلق اللـه تبديلا ؟؟ ! ..

اذا اتفقنا على هذا المذهب ، تعالوا معي في رحلة ندية ، عبر مسارب الضوء والعبير ، والالم والثبور مع هذا العواد في – جنون الناقدين – ، العواد الـذي اهل على حياتي، فعرفته كما يعرف نفسه وربما اكثر. – هذه دعوة أدعيها – .. ستعجبون .. اذا قلت لكم انني ما رأيته ، ولا راسلته ، ولا التقيت به بصحو او غيبوبة ، الا من خلال الصراع الدامي مع الحياة والموت على بياض الورق ! .

العقل فوق الحس .. انك قلت ذاك .. فأين ذاك؟

هذا ما قالته سلمى ... أصحيح هذا يا سلمى؟ اصحيح ان العقل فوق الحس ؟؟ ! . سأترك الجواب اكراما لعينيك .. اتعلمين ايضا لماذا ؟ .. لانك قلت : دعني ، وقم بالواجب الوطني ، وابتدر العراك
ارسل خواطرك الصريحة ، واخترق حجب السكوت
وادع البلاد الى الحياة ، فهل يروقك ان تموت ؟

وأهب بها ان لا تهون
رباه كم لبثت ، تهون

ونزل شاعرنا العواد ، فعلا ، الى الساحة ، الى البلاد يدعوها الى الحياة ، وناضل حتى انبرى سنان قلمه ، وتكسرت السنان على السنان .. حتى تحقق له ما أراد وما يريد .. هذا هو تاريخ العواد .. حافل عامر ، كما خططته له سلواه ، وبالاصح كما اراد لها ، ان تخطط ، وان تقول .. فعزت البلاد بعد هـوان ، وعلت بعد تدهور وهبوط .. وراح العواد وصحبـه يضيئون الدروب بمشاعل اقلامهم ، وفي كل يوم مشعل عتيد ، وفي كل يوم درب جديد .

٢٤–١٠–١٩٧٨
٢٢–١١–١٣٩٨

دمشق – علي المصري

حوار الابعاد الثلاثة
والرؤية الشعرية بين الانسان والوجود الحقيقي

احمد دوغان

يرتقي الشعر بمدى استيعابه لمعاناة الشاعر .. وانتقال هذه المعاناة عن طريق اللغه الى الاخرين .. ولذلك فالشاعر في رؤيه الفن يحب ان يكون مبدعا .. يوظف اللغة في خدمة الاحساس الذاتي ، وتجسيد ما يعانيه الفرد من خلال هذا التمازج الكلي ما بين الموهبة واللغة ، ما بين الذات والوظيفه للكلمه . ! ولعل هذا الاخذ والرد هو الذي نسميه لحظة الاشراق عند الشاعر .. فالاشراق يعني احتراف الشاعر في ولادة الكلمة من رحم الابداع ..

من هذا المنطلق سأعيش لحظات مع مجموعة ــ حوار الابعاد الثلاثة ــ للشعراء حسين علي محمد ، محمد سعد بيومي ، مصطفى النجار .

هؤلاء الشعراء كيف سكبوا ذاتهم في مجموعة واحدة ؟ .. وكيف رضيت هذه العصافير الشعرية ان تسكن في عش واحد ؟ هل يعني انهم ينتمون الى بيدر واحد ؟ .. ام أن غذاءهم يوجد في كرم احادي الشكل والطعم ؟! . لا بأس ان نعود الى العطاء الشعري لهؤلاء الشعراء الذين وجدوا ضالتهم في هذه الخيمة الحضارية ذات الابعاد الثلاثة .. ! وحسنا كان العنوان .. وليس كما توقع الشعراء ذاتهم .. اذ هم ثلاثة اصوات ولكل واحد بعد ينتمي اليه .. هذا في حساب شعراء المجموعة .. أما في حسابي النقدي فاني استحضر علم النفس ليقول قولته بعد قراءة المجموعة .. ان العنوان يمثل حوار الثلاثة وهذه الابعاد توجد في مضامين كل واحد منهم .. وهي :

البعد الانساني
فلسفة الوجود
البحث عن المجهول

١ ـ الوجـه الانساني :

فالانسان يطالب الشاعر حسين علي محمـد الايمان بالارض .. هذا الوطن الذي يحتضن الانسان ويقدم له كل عطاء .. ولذلك فالفرد مطالـب بالحب لهذه التربة : (١)

علمنا يانهر النيل
علمنا كيف نجده
علمنا أن نجتاز الصحراء .. القحط
وان نبذر اشجار الحنطة
علمنا ان نزرع اشجار ـ السنط ـ مع الزيتون
علمنا ان الصعب يهون
من اجل الاطفال .. بسمات الغد

لم تكن كلمة ـ علمنا ـ قسرية في القصيـدة ، والتكرار هنا اظنه نفسيا ولعل الحب والحنان .. ومحبة الاطفال .. لغة حية في شعر ـ حسين علـي محمد ـ فهو يكررها في أغلب قصائده .. فهو يقول في قصيدة ـ تكوين ـ في سطر عابر :

ـ طفل يتعلم : الف باء ..
وفي قصيدته ـ سخاء ـ يقول :
ـ الف باء
علمنا يا نهر النيل
فأنت كريم وأصيل
علمنا ان الحب سخاء

أليس هذا تجسيدا للانسانية التي تتغلغـل في داخل الشاعر لتتساقط على الورق الوانا من الشعور الذاتي الذي يغدق بهذا الشعاع الانساني .. !

أما المصير الانساني عند ـ محمد سعد بيومي ـ فهو يطمح ان يرسم في وجه الكون حقيقة هـذا الانسان .. فهو يمثل الصراع الذاتي الذي ينتـاب هذا الفرد .. ولعل هذه النظرة عند البيومـي ـ شمولية (٢) :

ـ وقفت دفة عمري بين الموج
اختلط الاسود ، بالابيض في عيني
هاقد اصبحت طريدا للامواج
ولا عاصم من قبض البحر .. ولا راحم الا الشاطىء
لا يبدو في عيني

هذه الرؤية الانسانية ليست سهلة التركيب ، فالموج هو الرياح اليومية ، ودفة وجوده،كونه الذاتي، والابيض والاسود لونان للحياة ، سمهما ما شئت ـ .. ولعل جزءا من هذا التركيب ينداح في قصيدتـه ـ الصوت الاخر ـ والتي تعبر عن الارهاصات التي تحاصر الشاعر .. ولا نحب ان نتعرض لها .. الا بمقدار مالها علاقة بالوجه الذي تحدث عنه فهـو يقول :

نبضات المطحونين هي الجانحة الان على الطرقات
لتحمي ايديهم
والافرازات الكادحة البكر هي الاجيال وهاهم
يردم كل منهم برك الضغن المدسوسة حول الاشجار
المشرقة الملأى بثمار المكدودين وهاهم
يبسط كل منهم راحته .. لن تدمى قدماك من السير
فما اجمل ان يتغنى فمك الباسم ..

اليست هذه اللوحة الشعرية نبضة انسانيـة حية توحي لكل الرسامين في العالم كي يجسدوا هذا الموقف الانساني الجميل . !

أما الرؤية الانسانية عند الشاعر مصطفى النجار فهي تركيب حسي وشمولي بل تتجسد في كل قصائده الوجدانية ، وغير الوجدانية ، ولتستمع اليه وهـو يقول : (٣)

أقول ياواعداتي بالحب والحياة
تراك هل ؟
أم انك التذكار والشفاه ؟
اقول يا واعدتي

ومرت السنون
وأزهر الحنين والحسون
يستنظر الغصون
هل تلتقي الغصون بالحسون .. !

أليست هذه رؤية شفافة للطيف الانساني الذي يتعامل معه ــ مصطفى ــ ؟ ــ فالحب والحياة ــ كل متكامل للوجود الانساني ، و ــ التذكار ــ الذي يأتي من صدى الحب في الحياة ، و ــ الشفاه ــ لا ترسم عادة البكاء .. وانما ترسم الابتسام . ولذلك ــ أزهر الحنين ــ وأخذ الحسون يغني وما اجمل ان تزهر الغصون ، ويبدأ الكناري في غنائه .. وفي هذا اشراق انساني .. واذا لم تكن النتيجة ذلك فلماذا يقول :

هربت الان من ناري الى نبعيهوى عذب
اغني فيهما الحان اشواق المدى الرحب
اغني فيهما ماذا ؟ وماذا فيهما ؟ حبي ؟!

هذا الحب الذي يتجلى في غناء الشاعر ؟ لمن ؟ .. لم تكن هناك حسناء بقد ونهد .. ! لم يكن هناك وجه ناضر .. وساق مصقولة . ! وانما تجسيد هنا يعبر عن الانسانية التي يشعر بها مصطفى النجار .

٢ ــ البعد الثاني : فلسفة الوجود

هذا الانسان الذي يمثل جزءا من الكون الذي يعيشه وينتمي اليه شاء أم أبى .. هذا الوجود الذي يعمر فيه مشيئته الانسانية ، يفرض عليه كثيرا من الامور والتساؤلات ، فكيف بالشاعر الذي يملك الاحساس المرهف ، والشعور بالعالم .. لانه اقرب الى تصوير معاناة الاخرين من خلال اللغة التي يتعامل معها .. ولما كان ــ حوار الابعاد الثلاثة ــ يضم اصواتا شعرية نتعامل معها اول ما نتعامل بالواقع والحياة والانسان .. يعني انها تتعامل مع هذا الوجود .. ولذلك لابد من أن ترتسم ظلال هذه الامور في اوراقهم وفي خيالاتهم ثم ينطبع في أقوالهم فلسفة ذاتية لكنها نابعة من الشمول .. فهذا حسين علي محمد يقول : (٤)

ونحلم أنا ولدنا
وأن الصدور ربيع ونور
وان اللهيب يمور
ويقضي على حزننا الابدي
ويأكل كل الصدأ
فتولد في الشفاه ابتسامة شعب ظفر
وثار على الليل ، فملكة العاشقين الكسالى
وحقق أحلامه وانتصر

الحلم بالولادة ، وانتشار النور في الصدور لتحقيق ربيع الحياة .. وان اللهب يمور .. كل هذه الفلسفة الوجدانية شعاع انساني يدفع الانسان الى التفاؤل بهذا الكون ، والعمل من اجل القضاء على الحزن .. وكأن الحزن الابدي ــ **يولد مع الانسان** ، ولكن هذا الانسان بامكانه **ان يفتح صدره للنور** ، ويبدد الظلام ، **وعند ذلك لابد ان تولد البسمات على** الشفاه ، ويحقق **الانسان كل متطلباته .. !**

هذه النظرة في رأيي انتصار للوجود بصورة عامة ، فالشاعر لم يحدد معالم ــ الانا ــ ابدا ، وانما انطلق من الروح الجماعية ــ ونحلم ــ و ــ انا ــ و ــ ولدنا ــ و ــ الصدور ــ و ــ حزننا ــ و ــ الشفاة ــ .

لا اقول ان هذه فلسفة ، وانما هذا اداء شعري يعبر عن معايشة الشاعر لهذا الوجود ، وانطلاقه منه بما شعر معبرا عن النظرية التي يجب ان يطبقها الفرد في أي مكان كان .

أما الشاعر مصطفى النجار فانه يقرر ان الابتسام يجب ان يكون حتى في الدموع .. هذه فلسفة جديدة في الحياة .. فالدموع نوعان دموع الحزن ، ودموع الفرح .. والابتسام لا يكون الا في الفرح ، او ما يسميه الاخرون افتعال الابتسام بمعنى ــ البسمة الصفراء ــ أما ما يكنه الشاعر ــ النجار ــ في قصيدته ــ بسمة الدموع ــ فهي تقنية جديدة للغة .. وانا في هذا المجال لست بصدد الحديث عن اللغة ، ولكني أبحث عن هذا الابتسام :

لماذا انت باكيـــة
الا ابتسمي
وبسمة مؤمن تخضل بالاشواق
الا ابتسمي
فهذا الليل يتعبني بلا بسمات
وان كنت وحيدا احمل الايام
ياليلـــى
الا ابتسمي
فان الحب لا يقتل

اقف امام هذه المعاني وانا ابعد عن ذاكرتي قول القائل ــ اضحك تضحك الدنيا لك ــ لان الفرق شاسع فالضحك غير الابتسام .. والضحك قد يكون في قولة القائل افتعالا ، اما الابتســـام في رأي الشاعــر .. الخضرة .. الربيع .. الحياة المشرقة . ! وتكرار كلمة الابتسام هنا دلالة على تصعيد الشاعر للحب الانساني.

ومن خلال البكاء الانساني .. هذا القهر .. يطالب الشاعر بالابتسام .. لتتحول الدموع الحزينة الـــى دموع فرح . هذه الدموع التي تصور الولادة الجديدة للحياة ومن يستطيع ان يملك ذلك ؟؟ .. في تصوري أن خيال الفرد قد لا يستوعب ذلك الا ان الشاعر يؤكد ذلك قائلا :

الا ابتسمي فان الحب لا يقتل .. !

اليس هذا تأكيدا على مواصلة الحياة .. مـــن وجهة نظر تحب الوجود .. وتعمل على استمراريته وهو الذي وهب نفسه للحب .. للكون .. للحيـــاة قائلا :

ــ فانني طائر الاشواق بين الشرق والغرب ــ

ولعل صوت الشاعر محمد سعد بيومي مـــن هذه الوجهة يبرز بشكل صاخب اكثر من الشاعرين ــ حسين علي محمد ــ و ــ مصطفى النجار ــ لانــه من خلال القلق .. واحتضان الامور والالتصاق بكل موروثات ــ جعلت منه يلوح :

ــ كانت كل عيون الخلق تعنفني وتقول بأن الفردوس جحيـــم
مملوء بالشجر الباكي وتؤكد :
غيرك ضل ضلالا واحتار وتاه وعاد ــ بخفي حنين ــ
وارد بعنف : لست كفيري ، لست كفيري

هذا المنطلق الوجودي الذي يجعل الشاعـــر يحترق .. يتمزق وهو يبحث عن الفردوس .. عـــن السعادة والهدوء .. ولكن عيون الاخرين تعنفه،تغالط رؤيته ، وعندما يشعر ان الوجود من حواليه يريـد ضياعه .. صرخ بملء صوته :

ــ لست كفيري .. لست كفيري

هذه الصرخة التي تمثل فلسفة الحياة،والاصرار على النظرة التي لا بد ان تصل الى الاستقرار في ظل الهدوء النفسي ، ولعل التعبير الذي جاء به ــ سعـد بيومي ــ يذكرني بقول ــ فاوست ــ :

ان روح العالم لا توصد بواباتها
لكن قلبك ميت ، واحساسك قد انغلق .!

وشاعرنامثل السطر الاول بينما الاخرون مثلوا السطر الثاني .. لانه يريد ان يطرق الامل من كـــل جهاته ، ليشعر الانسان بما يفكر فيه ، ويحاول جاهدا .. وهذا الذي دفعه الى القول :

بين فهود الارض يموج العطش الدائم
يسقي كل مريد

الصورة هنا بعيدة المدى .. أي ان الحب .. العطاء .. السقيا . جميع ذلك موجود .. ولكـــن بحاجة الى ــ مريد ــ الـــى باحث عن كل ذلك .. وشاعرنا من خلال قصائده يبدو انه باحث عن هــذا العطـــاء .

البعد الثالث : البحث عن المجهول :

يكاد ان يكون البعد الثالث جزءا من البعـــد

الثاني لولا ان هذا الوجه يأخذ مدارا له اهميته في شعر شعراء الحوار .

والبحث عن المجهول .. اي مجهول كان يا ترى ؟؟ .. أم أن هناك حقيقة مجهولة يبحثون عنها .. وهذا هو المنشود .. لنرى ماذا يقول ـ حسين علي محمد ـ :

انتظريني
فالشمس القاسية صباحا
فوق شبابيك مدينتنا المسكينة
تدنيني
من اهوال تملؤني رعبا وجراحا
تفزع روحي التواقة لاستقرار وطمانينه

اذا بعد هذا الانتظار .. والرعب والجراح ، فانه يتوق الى الاستقرار والطمأنينة .. وهي ضالة الانسان . ! ولماذا يهرب من الشمس هل لانها تحمل النور ؟ .. ابدا لا .. وانما :

احلم بالظل يجمعنا
باللحظات الحلوة تدنينا
لكن ظهيرة هذا اليوم المشؤوم تفرقنا
تبعد عن ايدينا
طيرا ازغب يحلم بالخضرة في وهج الصيف

اذا ـ فحسين علي محمد ـ يبحث عن الاستقرار والطمأنينة والظل واللحظات الحلوة .. والخضرة ، وكأنه يصور الفردوس بما فيه ولكن عن غير قصد وانما الشعور النفسي ادى الى اسقاط هذه المتطلبات على الورق .

أما المجهول لدى ـ محمد سعد بيومي ـ فهو معقد الصورة لدى بسطاء التفكير .. عميق الصورة لدى من يبحث عن أصل الاشياء .. ولذلك فالقارىء لا يستطيع ان يتفهم الشاعر اذا لم يكن معه بوعيه وشعوره :

ووقفت على ابواب الكرم الوهمية انظر النرجسة الفضه
وامتدت للجذر جذوري واحتضنتها
فوجدت الايدي قد سبقتني واختطفتها

وتحسرت وقلت لهم
ورمت قدماي ، لهث انفاسي ، لم اركم
في الدرب الواصل للفردوس فكيف دهمتم عفتها
لمعت قرنيات عيونهم الصفراء وماجت
بملايين الالوان اجابوا :
ولماذا تمشي الطرق الوعرة ثم يروح المشي
هباء في تربتها
قطفت ايدينا النرجسة الفضة اما انت فلم تجن الثمر !

هذه الصورة الشعرية التي احسن سبك خيوطها .. يوقفنا الشاعر هنا وهو يحوم عن ضالته التي يسعى اليها .. بينما غيره يملكها بسهولة ما لا يستطيع هو .. فهؤلاء ليسوا من طنيته ، وضالته غير ضالتهم .. فهو يصورهم :

ـ كثعابين الموت يطوق كل منهم غصنا
وانا وانت نكابد في صمت ما يفعل قابيل وننضح حزنا
لكن كيف نبث اليهم شكوانا
صم .. بكم ، يحمل كل منهم قلبا من حجر البازلت
ولا يسمع
شكوى منا .. او يرفع حملا عنا

لكن الصورة ايضا لم تكتمل في رأيي هنا لان الشاعر مازال لا يصرح وهو المقهور المكدود والقائل عن ذاته :

منكمش في دائرة الظل
اعيش كسيحا
اتحسس افئدة الثلج وافئدة الثلج هي الصندوق
الاجوف .. !

لكنه حاول الا يفشي السر .. بينما مفاتيح

الصدر في كل مقطع موزعة ولذلك لا بد من الوصول الى الحقيقة شاء الشاعر ام ابى ، وهو القائل :

لكني لن انتظر الغوث من الغارق
وسأبحث عن حلقاتي المفتقدات
وعن بابي المنـــزوع
وعن نافذة النور
سأنتظر الروح بدون مرافق .. !

هذه التهويمة الصفوفية اقرار بالواقع .. انه يبحث عن الهدوء والسكينة .. عن الروح التي تسبح في كل مكان من اجل ان تقر .. والذي يدل على ذلك .. ثلاث اسطر في اكثر من قصيدة انه يقول :

ـ وأنا وانت نكابد في صمت ما يفعل قابيل .. وننضح حزنـــا

ـ أتحسس أفئدة الثلج
ـ وسأبحث عن حلقاتي المفتقدات
وعن نافذة النور

ولذلك تصـــدق في شاعرنا كلمة ـ كولـــن ولسون ـ : (٥) ـ ان ميزة الكاتب العظيم حقا هـي قدرة عقله على الوثوب فجأة من مستويات الانســـان العادي فيه الى ادراك فجائي القيم الشاملـة ـ لان ـ سعد بيومي ـ هنا لا يصدر تجربته الذاتية بقـدر ما يصور هموم الاخرين .. والبحث عن الحقيقة .

والمجهول عند الشاعر مصطفى النجار هو ذاته عند ـ حسين ـ و ـ البيومي ـ ولكن ربما كان مصطفى في تعبيره اكثر شفافية ، ولعلمي ان شاعرنا ـ تربادور جوال ـ من خلال تطوافه .. ورحلته مع ـ الشحارير البيضاء ـ وقد رأى في الواقع ما رأى ـ او في الاجواء ما سمع .. اقول هذه العوالم لا بد ان تترك اثارها في شعره ، بل قد توظف في هذا الشعر .. وقد نجحت .. اذ حولت الشاعر من تصوير الذات الى نقـــل الهموم الجماعية .. وهو القائل في قصيدته ـ فـــي محطة الانتظار ـ :

أقول يا واعدتي
أدور لا أدور
ترمدت مواقد البخور
وصوحت مشاتل الزهور ؟!
أم انني مخمور
اواه ياواعدتي لو يكذب الشعور
موانىء الربيـــع
وهذه الشموع
وشهقة الضلوع للضلوع
فهل ترى تضيع ام تضوع ؟

الى هنا والشاعر بين مد وجزر .. بين مصدق ومكذب .. ولكن الاحساسات التي لاتكذب الدليل ، فانها تقر ان في السر مجهولا .. لان الشاعر يتابـــع قـــولـه :

وطائر البريد في الصباح
يموت في الطريق
في أضلعي منقاره الرقيق
وخفقــة الجناح

التعامل باللغة ليس امرا سهلا ، فالطائر لم يعد .. وما زالت اثاره باقية في صدر الشاعر .. ذلـك المنقار الذي حمل السر ، وذاك الجناح الذي يخفق ، أي انه مازال حيا ، ولكن في خيال الشاعر .. هل يقف ـ مصطفى ـ عند هذا الحد ؟ .. واين السر ؟ واين ما يبحث عنه ؟ :

اقول ياواعدتي
اقول ما اقول ؟!
لنفترق طيرين في الدروب
فطـائر يطير للشمال
وطـائر يطير للجنـوب
ولتحترق في اضلعي الرغاب
أشيخ يا مسافره
اشيخ في الشباب
اقول يا واعدتي بالشوق والشباب

تلك هي الحقيقة .. والبحث عنها ليس بالامر الهين وكيف يشيخ الشاعر في الشباب ، اي انه يملك ارادة الشباب ، وعقول الشيوخ .. وعندها يتحقق بالشوق والرغبة مطامح الانسان .

فهل بعد ذلك يظل المجهول مجهولا ابدا ... ! ولكن بقي ان نقول .. ان كلا من المجهول عند الثلاثة هو حقيقة ، ولكن لا تتحقق دون البحث .

الجمالية في شعر هؤلاء :

لا افهم الجمال من وجهة نظر فلسفية توجد الوجود من العدم ، وانما أي الجمال نظرة حسية مادية من طرف .. ومعنوية من طرف اخر ، وكلا الاثنين يمثل النظرة التكاملية للجمال الفني .

والجمال في الشعر يأخذ اكثر من معرفة واحدة ، فهناك الخيال .. والصورة .. والابداع في اللغة ، وتسخير اللغة في خدمة الخيال .. والكل يأتي بمعنى الجمال في الشعر .. ونظرة متأنية ترينا مقاييس الجمال ..

وفكرة تخطر على بالي هل الغموض والوضوح في الشعر نظرة جمالية ؟ واظن ان هذه الفكرة تدخل من باب الجمال .. اذا كان الغموض بمعنى الرمز ، والوضوح بمعنى الاشراق لا نقل الواقع كما هو .. وقصائد الشعراء حسين علي محمد ، ومحمد سعد بيومي ، ومصطفى النجار من هذه الوجهة تأخذ دورا في العملية الجمالية لان الغموض والوضوح في الاصل يرتكزان على الصورة والخيال والابداع في ذلك .. لنقرأ هذا المقطع من قصيدة ـ السقوط في الليل ـ لحسين علي محمد :

اراك في المساء تخرجين من يدي
وتفلتين .. من اصابعي
يافلتي البيضاء .. اين تذهبين
والخاطفون
انوارهم مثيرة
اموالهم كثيرة
عيونهم ضريره
أراك تسقطين
فراشة محروقة في الليل
والليل يستمر
اراك تسقطين
والليل مستمر
والصبح لايبين

بداية المقطع عند ـ حسين ـ فكرة ليست جديدة من حيث التركيب وقد مرت بنا في قول ـ المتنبي ـ عن ـ شعب بوان ـ وهو يصف الشمس .. والاشجار تحجبها الا من خلال الاوراق :

وألقى الشرق منها في ثيابي
دنانيرا تفر من البنان

الا ان الشاعر سخر هذه الفكرة في صورة جميلة فهي تفلت من اصابع الشاعر وتهرب من الظل الى الانوار ، وهي لا تدري بأنها تفعل بنفسها كما تفعل الفراشة عندما تقترب من الضوء الكهربائي . لا شك في انها ستسقط . وسقطت في رؤية الشاعر . وكانت النهاية .. لانه انتظرها حتى الصباح ، ولكنها لم تأت .

قد تكون الصورة واضحة ، ولكن التركيب الشعري هو الذي يعطيها هذا الجمال في ابراز الصورة والتشبيه التمثيلي ليس من باب التقليد للقدماء ، وانما يدل على مقدرة الحداثة في تكوين الصورة .. فهي تهرب من يديه لتهرب الى الانوار .. كالفراشة تحب الضوء .. وهنا يسقط العامل بين الطرفين ..

هذه واحدة .. ! وصورة اخرى عند محمد سعد بيومي ، في شعره المملوء بالصور والرموز حتى لا تكاد تجد سطرا بلا صورة شعرية لها مدلول نفسي او وجداني :

والبحر عنيد .. يزبد في صفحات النفس
ويصعد بالموج الى حلقي
والجوع يقلص اوردة القلب ، ولا املك
مايكفي رمقي
والعاصفة المحمومة في القلب تلوك خلياتي
والشوق الدوامة في النفس
يطمعني في الشاطيء ، والبر
بعيد بعد الارض عن الشفق

هذه الصور المتلاحقة .. المتراصة والتي تمثل التكثيف في الشعر، لولا ان الشعر يعطي بعض المداولات لقلنا انه يعتم الصورة .. النفس عطشى .. والبحر كله لا يروي غليله .. يريد الشاطىء .. لكن البر بعيد ، لا يمكن الوصول اليه .. هذا التفسير قد يقتل جمالية الشعر .. ولذلك كانت لغة الشاعر ابعد من لغة النثر .

والصورة عن ـ مصطفى النجار ـ تجنح دائما الى الرقة لامن باب الحساسية بين الاصدقاء ، وانما اللغة عند ـ مصطفى ـ هذا حالها .. ولنستمع اليه :

كما النسرين يركض فوق ابوابي
لماذا انت باكيــة
ايوم تفارق الاحباب
باسم الحب يا ليلى
تطاردني خيالاتك
دعيهــــا
دعيها .. الحظة فاقت ملايين الاحايين
تزقزق في شراييني
فلا تبكي .. تغص لهاتك الخضراء بالكلمات

هذه الصور المجنحة التي ترسم ظلال الحروف .

ـ كما النسرين يركض فوق ابوابي ـ فالشاعر هنا بحاجة الى عبق ، والى رؤية الخضرة .. وخيالاتها تزقزق في شرايينه ... كيف تزقزق ؟ .. أهي تعيش معه في غربته في استغراقه .؟ هذه لغة شاعرة .. !

اما من ناحية اللغة في المجموعة فلغة ـ حسين علي محمد ـ تنتمي الى البعد الواقعي ، ولغة محمد سعد بيومي تنتمي الى المعجم النفسي ولغة مصطفى النجار أميل الى الرقة .

لقد بقي في العنقود حبة توزع طعمها ـ حوار الابعاد الثلاثة وهي تتمثل في أقوالهم ..

يقول حسين علي محمد :

مادمت معي
احزا نالعالم لا تجتاح قلوعي
اقتربي منــي
همساتك تذهب عني جزعي
وتعيد الي ربيعي

ويقول محمد سعد بيومي :

لن تدمى قدماك من السير
على راحات المطحونين .. ففني لشباب العمر
فما اجمل ان يتغنى فمك الباسم

ويقول مصطفى النجار :

الا ابتسمي
فهذا الليل يتعبني بلا بسمات
وان كنت وحيدا احمل الايام ياليلى
الا ابتسمي فان الحب لا يقتل

---

١ ـ من قصيدة ـ سخاء ـ .
٢ ـ من قصيدة ـ الخروج من البحر ـ .
٣ ـ من قصيدة ـ في لحظة الانتظار ـ .
٤ ـ من قصيدة ـ اللهيب ـ .
٥ ـ ص ٣٦ ـ الشعر والصوفية ـ كولن ولسن .

حلب ـ احمد دوغان

فراتيات

الشاعر محمد الفراتي

عبد الغني الرحبي

تذكرت وانا افتش عن موضوع اكتبه عن شاعر الفرات الكبير المرحوم محمد الفراتي ، تذكرت حديثا حدثني عنه قريب قضى فترة طويلة في بلاد الغربة حدثني قائلا . كنت كلما اشتقت الى وادي الفرات اعود الى ديوان الفراتي .. اقرأ فيه الفراتيات لاعود الى مرابع الطفولة واعيش حلوها .. ومرها .. لهوها وعبثها .. مرحها .. ولا مبالاتها كل هذا عندما اعود الى الابيات التي صور بها هذه الصور والى الاهل والاحبة واعيد صور الجمال والفتنة لذلك الوادي اقرأ عن معالم هذا الوادي التي لها في ذهن كل فراتي ذكرى لا تمحوها الايام ولا تزيل اثارها الليالي ولا تقضي عليها عوادي الدهر ..

لذا كان ديوان الفراتي لا يفارقني .. رفيقي في ساعات نهاري .. سميري في الليالي ... كي اتخيل نفسي دوما اعيش في الوادي الحبيب ..

ان صورة الفرات الخالد محفورة في قلب الشاعر على قسوة الحياة في هذا الوادي بقي الفراتي يحبها وعلى خشونة العيش فيه ظل الفرات يرى فيها منتهى الرقة ورغم الشدة في سير الايام فقد تحولت هذه الشدة الى عذوبة في نظر الشاعر لذا رسم الشاعر صورة رائعة للفرات وما كان هذا الا لدافع التغرب الذي ابعده عن موطنه الاول اما طلبا للعلم او طلبا للحرية وفي كلتا الحالتين بقيت صورة الفرات الخالد ترافقه لا تغيب عن خياله .. ولا عن نفسه وكيف يكون هذا وفي الوادي للشاعر ذكريات لا تنسى ..

وجاءت هذه الصور على اجمل ما يمكن اتقانا في اختيار الالوان ودقة في الابعاد وجمالا وانسجاما في الشكل والمضمون كيف لا يكون هذا والشاعر يمتلك الالوان وهي طيعه في يده ويمتلك القوافي وقد اسلمت له القياد .. ولا يخفى عنا جميعا ان الشاعر فنان كبير

مرهف الحس دقيق الملاحظة ثاقب النظر . . ولهذه السمات التي اتسم بها جاءت هذه الصور صادقة في التعبير .. نابضة بالحياة ..

فأيام الطفولة خالدة تمر الايام وتكر الليالي وتبقى صورها ماثلة في الذهن .. ماثلة بالعابها التي لا تنسى فقد صنع الاطفال من اغصان الغرب اعوادا يطلقون عليها الحصن ، يمتطونها ويجولون في حارات البلد ويتقابلون في معارك وهمية وقد ارتفعت اصواتهم وعلا .. صراخهم .. واخذ ضجيجهم يشق عنان السماء ، واما سلاحهم فهو اما قضان من افنان الرمان او سيوف من قطع الخشب والسلاح الرئيسي في هذه المعارك هو المقلاع ان كانت المعركة بين عناصر حي اخر ...

كم قضينا والوقت اثمن شيء
من ليال نجول في الحارات

بعصي تستن مثل خيول
ضمرتها الفرسان للغارات

نملأ الافق بالصياح ونرمي
بنحور لعصي في الهبوات

من غصون الرمان كم قد نقلنا
من رماح للطعن في اللبات
ولكن من قواضب قد غمدنا
من سيوف الاخشاب في الهامات
ام عهدتم عهد المقاليع اذ نرمـ
ـي بها من يمر في الحارات

واذا ما هدأت الغارات وانتشرت انوار القمر الفضية تغطي اديم الارض واجتمع الاولاد حول حارس الحي او حول الجدات في البيوت ليسمعوا قصص الغيلان .. والحنافيش ..

في ليال بتنا بها نتلهى
بحديث الغيلان والسعلادة

اما ما يمتلك الوادي من جمال اخاذ ففي نظر الشاعر جمال ليس له نظير ، وفتنة لا تضارعها فتنة، تأخذ بلب المشاهد فهذا نهر الفرات يضرب المثل الاعلى فيه بالعذوبة والجمال .. بالحسن .. وان الفتنة العادية البسيطة لتعجز عن وصفه ولا بد من اختيار المعاني المناسبة لمقامه فمن معاني الخلود نختارها لنكون صادقي الوصف ..

وهذا النهر العظيم لايعرف في حياته سوى الابتسام عن العذوبة .. فلما شربت منه تصيح هل من مزيد .. لقد اسرنا حبا ووقعنا قتلى في هواه كما وقع الاجداد ..

ذاك نهر الفرات فاحب القصيدا
من جلال الخلود معنى فريدا
باسما للحياة عن سلسبيلى ...
كلما ذقته طلبت المزيدا
نحن قتلاه في الهوى وقديما
شف آباءنا واصبى الجداودا ..

وهذا الغدير المكون من مياه المطر وفي الاودية الصغيرة وبخاصة في منطقة السحلى حيث يخرج ابناء دير الزور للتنزه هناك فالغدير لوحة كون ابعادها الشاعر بادق ما يمكن ان يصف شاعر غديرا فالغدير يخاله بحرا كبيرا بلا حدود عميق جدا والحصا في هذا الغدير لالوانه الزاهية يخاله الشاعر ياقوتا وهذه حركة امواجه المتلوية كما تتلوى الحيات ..

اذ اخال الغدير بحرا خضما
نائي الغور واسع الفجوات
واخال الحصا الملون ياقو
تا ودرا يشع في الغمرات
خلت امواجه الصفار تلوى
بانسياب تلوى الحيات
وشتيت النبات في جانبيه
قد اراه من اكثف الغابات

هذا هو الغدير حيث منطقة السحلى المكان الجميل مكان التنزه حيث الربيع الدائم والزهر العبق والرياض المنبعثة من زهورها الشذا والعبير ..

رب يوم نعمت فيه طويلا
بين تلك الوديان والهضبات
في مجاني الشعاب من جانب الس
ـحل تروحت اعطر النسمات
حيث اختال في الرياض صفيرا
وادع النفس ناعم النشوات
ولكم رحت رافلا اتهادى
فوق وشي الربيع في الغدوات
اقطف الزهر معجلا من حواشي الروض
من غير مهلة او اناة

هذا قليل من كثير من صور الجمال التي كانت ماثلة في ذهن الشاعر لواديه .. وادي الفرات الذي عاش فيه .. ولا يمكن ان يغيب عن باله ابدا . اما معالم الوادي فلها نصيب من ابياته تمر صورها في خياله وهو بعيد عنها فيصورها ليتخيل نفسه في مرابعها وليس بالعيد عنها .. يرسمها .. ويضع نفسه بين هذه المعالم .. فهذا الجسر الكبير .. والجسر الصغير .. وهذه رحبة مالك بين طوق . . وقد قال الشاعر اول قصيدة نظمها في مصر يناجي بها رحبة مالك بن طوق حيث كان والده يعمل في هذه المنطقة ...

فالشاعر اذا ما التقى بمسافر الى وادي الفرات يوصيه بان لا ينسى المرور على الجسرين واذا اراد ان ينال قسطا من الراحة بعد تعب وارهاق مجهد فليستريح هناك حيث الرياض .. والعبير .. والشذا الاخاذ .

يا صاح ان زرت الفرات فمر بالجسر الكبير
واعبر الى الجسر الصغير وشم رائحة العبير
واحبس ركابك واسترح يا صاح من تعب المسير
وتمشى ما بين الرياض الى الشطوط الى الغدير

ويوصيه مرة اخرى ان يمر على رحبة مالك بن طوق ويحمل الى من فيها التحيةوالاشواق والسلام..

فيا اخوى عرجا بعد هدء
برحبة مالك ذات الطباق
وحيو شمس دجن في خباها
حذار الصيد من خلف الرواق

وكيف لا يحمله التحية والاشواق وقلبه معلق برحبة مالك بن طوق ولا يمكن ان ينساها ولا ساكنها .

برحبة مالك قلبي رهين
يعالج سكرة الموت الزؤام

اما راس الكسر ذلك المكان الذي يلتقي فيه شطا النهر فهو المكان الجميل ايضا وما اعذب ماءه وكل يتمناه الشاعر جرعة منه حتى تبعث الحياة في كبده وقلبه ففي هذه الجرعة سر الحياة ..

رعى الله عهدا بالفرات وجيرة
بمفترق الشطين لج بها الوجد
ويا ماء راس الكسر من لي بجرعة
يروي بها قلبي وينتفع الكبد

حتى المقاهي فدير الزور لها ذكريات في نفس الشاعر فهي مكان في نظر الشاعر لا يبعث الى الراحة والاطمئنان يسمح للجالس فيها ان يعمل ما يشاء فاصوات الزبائن .. والنرد .. والساقي من جهة ومن جهة اخرى اصوات المشاجرات التي تشتعل نارها فيها ويشهر السلاح .. وتسيل الدماء .. وكأني بالشاعر يريد ابعاد الناس عنها الى ما هو مثمر ومنتج لا الى قتل الوقت بما لا فائدة منه ..

ما لصدري في مقاهي الدير ما عشت انشراح
ليس في المقهى بدير الزور للمرء ارتياح
اضجيج ... وعجيج وعواء ونباح

كـل ما يفعلـه الجـالس فـي المقهـى مبـاح
ولقـــد يحتـــدم الشـر ويستـل السـلاح
فـــاذا لكـم وركـل ودمـــاء وجـــراح

اما اهل الفرات فهم اهله واخوته واحبته وكيف ينسى المرء اهله اهله .. وان النأي بالنسبة للشاعر ليس عاملا في دفن ذكريات في عالم النسيان مـــع اصحابها بل كانت حية في نفسه .. وضميره ..

فيخاطب اهل الفرات قائلا ان البعد لن يغيره ولن يدخل الفرح الى قلبه وهو بعيد عنهم ولقد قدم لهم بائعا روحه وهي اثمن ما يمتلك فمن يقدم روحه بلا عرض لا يمكن ان ينسى اهله واحبته وان من اصدق سماته هي الحب وابعدها نسيان الاحبة ..

لا تحسبو انني من بعدكم فرحـــا
هشا بشوشـا اناغي من يناغيني
كلا فما قلبي المضني بمنصـرف
عن حبكـم لا ولا الاخبار تلهينـي
نعم فقد بعتكم روحي بلا عـوض
عنهـا ولست علـى بيعي بمغبون
ان الصبابة من طبعي ومن شيمي
وما التسلـي عن الاحباب من ديني

كما ان الشاعر يحن الى الفرات والى ساكنيها كما تحن صغار الابل الى امهاتها ..

احـن الى الفرات وساكنيهـــا
كما حن الافـال الـى النيـــاق

واذا ماهبت الريح من دير الزور فانه يستنشقها بشدة فهو يعتقد بان هذه الريح القادمة من ديـــار الاحبة وموطن الذكريات حياة للشاعر ..

هبت من الزور ريح نشرهـا عبق
في طي اردانها المنثور عـن وطني
ريح بهـا الراح ممزوج بقرقفهـا
والزنجبيل وذوب الشهد في الزمن
تلك الصبا حيثما استنشقتها سحرا
نشرت بعد البلى ياصاح من كفني..

والشاعر لا يمكن ان ينسى هـــذا الوادي ولا يستطيع ان ينسى جماله .. اهله .. معالمه .. فحبها مقيم في قلبه ولقد كانت هذه الصور عزيزة على نفسه حملها في طيات قلبه الى مصر .. والعراق .. والبحرين .. صورا عذبة حلوة جميلة ...

اي نـار بمهجتـــي تتلظـــى
من غرام قد عـاد داءا دفينـــا
كيف اسلو وكيف اطعـم غمضـا
بعد ان شمت في سمائـك ومضا
ياعروس الصحراء قد عيل صبري
عنك والحب مخرجي من حدودي

لا يمكن ان ينسى وكل الذي يتمناه ان تعـــود ليالي الصفا التي قضاها بدير الزور ..

كيف اسلو وانت مسقط راسـي
ومراد الهـوى ومنبت غرسـي
انت يا كعبتـي ومسرح انسـي
كيف اسـلو وانت منيـة نفسي
صحت والحب قـاصم ظهـري
ياليالـــي الصفاء بالدير عـودي

وغانيات الفرات لا تغيب صورهن عن باله فقد عهد بهذا الوادي حسناوات جميلات يردن الفـرات ويرمين بسهام لا تخطيء ياتين الى الشاطيء يفاخرن .. .. بقدود .. وعيون .. وسحر .

عهدت بـه اوانس راتعـــات
يصارعـن الهـوى بين الخيـام

يردن الى الفرات ولسن يوما
يردن ولم يصبن بسهم رام
يبارين الشواطىء معجبات
بدل او بطرف او قوام

فوادي الفرات ...
انشودة عزفها الشاعر قيثارة شعره لحنا عذبا معبرا عن حبه وهيامه وشوقه له .. ولياليه وايامه .. ومعالمه .. وصباياه .

وادي الفرات لوحة رسمها الشاعر على ورق اختاره من شفاف قلبه بريشة من اهداب عينيه بمداد من دموع المتألم لفراقه احبه حبا جما عميقا وهو سيبقى يزدد هذا الحب مع نفسه ومع الطبيعه ومع الناس الى ان تغادر روحه الجسد .

فانا اسير هوى الفرات فهل تحن على الاسير
يا تربة الوطن العزيز غذيت بالماء النمير
وطني اردد ذكره بفمي الى النفس الاخير

واقول ـ

اننا لنظلم الشاعر لو حددنا فراتياته بهذه الابعاد. ففراتيات الشاعر الفراتي اكثر من ان تحصيها هذه الصفحات القليلة ..

لقد سجل صفحات النضال لهذه المنطقة كما انه عرض في كثير من اشعاره صورا لمجتمع الفرات ومظاهر الحياة الاجتماعية وصور البؤس .. والشقاء .. والظلم من قبل المستعمرين . واذناب المستعمرين.

وحرصا منا على ابعاد المحليه عن الشاعر اقتصرنا على هذه الابعاد ذات الطابع الواحد . علما بان الفراتيات ترجمان صادق عن شخصية الشاعر وشاعريته ونفسيته ويمكن ان اقول انها تعبر عن شخصية كل فراتي حيث تتكلم بلسان كل من وقع اسير الفرات ..

وبهذه الرحلة القصيرة ، يمكن القول . بان الشاعر امتاز ـ وبلا شك ـ بالفصاحة والجزالة احيانا والرقة والعذوبة والسلاسة احيانا اخرى .. وهذا من اثر النشأة الاولى في وادي الفرات المتأثر بالبادية والطبيعة الجميلة التي كانت .. تترك أثارها في عاطفته وخياله .. واسلوبه .. ولا ننسى دور الثقافة الازهرية ..

وباستعراضنا لهذه الاشعار نجد المتانة في مواطنها والرقة المتناهية والنعومة في مواطنها ايضا. وما موسيقاه وما تحمل من سحر ..

فالمعاني يتكأ في اغلب معانيه الى المعاني القديمة وحتى التراكيب فنجد الحسية في الصور ولكنه مع ذلك يحسن انتخاب الصور المؤثرة في النفوس لانها قوية الدلالة واسعة المؤدى تثير الخيال وتوحي بما يريد الشاعر . كما انه كان دقيق الوصف .. قوي الملاحظة ..

ولقد كان اسلوبه فصيحا نقي الكلام مطبوعا .. وميزة الشاعر اللفظية هي روعة الموسيقا وقوة التأثير فيها على السامعين . ولكنه قد استعمل بعض الالفاظ الغريبة في امكنة منتشرة في شعره ..

هذه السمات هي التي جعلت الشاعر لا شاعر الفرات فحسب بل من شعراء الصف الاول من شعراء القطر بل الامة ..

رحمه الله .. وافادنا بشعره .. الذي سيبقى مشعلا في درب الحياة الطويلة ..

عبد الغني الرحبي
الميادين

ملحمة الصمود والتصدي

احمد هويس

دع عنك كنا .. وهيا نبعث الآنا
كنا على الشمس اعلاما مرفرفة
حي الصمود !! وقم للثأر منتفضا
توحد الالم الجبار في دمنا
انا بلونا صروف الدهر عن جلد
مالان عود لنا في نسغه صيد
انا بنو الشمس .. عرفانا ومكرمة
نبوة العرب .. نور الله .. منهمر
لا يبعث النبل الا من شمائلنا
وما تزال كروم الغيب مخفية
وما تزال تهز الكون ثورتنا
واليوم نحن .. دروب العز ترمقنا
توثب المجد في الاوراس ملتهبا
تضوع الحب من ـ وهران ـ أغنية
يصحو الخلود على اهدابنا ألقا
نحن الكماة أباة الضيم يجمعنا
دك الصمود على الازلام ردتهم

ملاحم الكبر والتوحيد بركانا
واليوم نحن .. يكاد الركب ينسانا
نعانق المطر الثوري طوفانا
فوحد الفكر .. اصرارا وايمانا
وجرعتنا خطوب الغدر الوانا
فالدهر يرهبنا سرا واعلانا
والهدي اشرق ملء . الكون .. قرآنا
يقطر الالق العلوي .. انسانا
أو يسكر المجد الا من سجايانا
في غمرة الحق والاحداث .. فتيانا
اذا أطلت .. يطل النصر نشوانا
قد انطلقنا الى العلياء .. فرسانا
فأومض البرق في ـ الشهباء ـ نيرانا
تعانق الشام .. أحبابا وخلانا
فيزهر الرفض مزهوا وجذلانا
ثأر تشظي براكينا وعرفانا
وزلزل الرفض أذنابا وأوثانا

ان الجراح وان طالت ملاحمها
قومية الثأر من أوراسنا التهبت
سلوا دمشق عن الاوراس تخبركم
سلوا دمشق عن الاورا من تخبركم
سلوا دمشق عن المختار تخبركم
ليبية الحب قلب الشام ذو دنف
دم الفداء ٠٠ ونار الجرح ملهبة
أنا القتيل ٠٠ وما زلنا ذوي رحم
وما يزال الوفا ٠٠ عنوان وحدتنا
مواجد الكشف من أمداء مطلقنا
يوم الجلاء وذكرى لا يماثلها
انا زرعنا عيون الشمس الوية
انا عشقنا ٠٠ وعشق الارض شيمتنا
نهواك يا شام ٠٠ دار العرب قلعتهم
نهواك يا شام نبضا في تشهدنا
يا ميسلون العلا تاقت ملاحمنا
في كل شبر لنا جرح وذاكرة
في ذمة الثأر أيقظنا مواجدنا
يا يوم أيار والابطال قد رفعوا
هل ادرك الترك ما مغزى تذمرنا
ان أزمن الحقد عتقنا مجامره
عهد المروءة والاحرار ، ما انكفأت
انا على الدرب يا ابرار امتنا
وان وصلنا فعرس المجد مؤتلق
يا وحدة العرب قلبي فوق تذكرتي

ستغسل العار ان جاشت حميانا
فرددتها قلوب الشام الحانا
كم مرة أصبحت للنصر ميدانا
لولا الجزائر ٠٠ فجر العرب ماكانا
شيخ المعامع للفاشست ما هانا
فعانقي الشام امواجا وشطآنا
أغتال ظلي انتماءا يوم بلوانا
كنا ورغم الاسى اهلا واخوانا
وأمنا القدس نهواها وتهوانا
نعم الحضور ٠٠ كنور الله هتانا
عند التجلي سوى ترنيم نجوانا
ففي ربانا يتيه المجد نشوانا
وسوف يبقى جنون العشق يغشانا
فعانقي العرب ، توحيدا واوطانا
لولا هواك لمات القلب خذلانا
لا القدس قدسا ولا الجولان جولانا
وكل يوم يموج الثأر ظمآنا
فبرعم الحق ملء الروع أحزانا
فوق المشانق رايات وفرسانا
كانت أصالتنا حصنا وسلطانا
او شرش القهر أضرمناه بركانا
مشاعل أيقظت في القلب نيرانا
فان كبونا فعين العرب ترعانا
وانتم الذخر ٠٠ اخلاصا وايمانا
فيك الخلاص ٠٠ فهلا نبدأ الآنا

الشاعر العربي السوري

احمد هويس

الجزائر ٠٠ في ــ ٥ــ٥ــ١٩٧٨ م

القيت في قاعة المقار ــ في الامسية الشعرية التي أقامتها السفارة السورية والاتحاد الوطني لطلبة سورية في الجزائر . وكان الشاعران اللذان قدما الامسية الشعرية هما : احمد هويس واحمد دوغان أما المناسبة .. فهي ذكرى الجلاء وشهداء السادس من ايار ..

مدرس لا انساه

مصطفى الخش

ـ ايسورا ـ مدرس الرياضيات ، بالثانوية العلمانية الفرنسية في طرطوس ؟ اهل علينا ، اهلالة القمر ، قبل اربعة واربعين عاما ، يحمل نسمات من الهواء العليل الطلق . دخل الصف ، انيق الملبس ، مشرق الوجه . ابتسامته عذبة الى درجة عظيمة. صوته موسيقي النغمة ... غذ نظرة حلوة ، في وجوه الطلاب ، اشاعت ، الحبور ثم انفتل ، يدور على نفسه طربا كراقص في حفلة ساهرة . مسك قطعة الحكك ، انامله لدنه طرية ، كطفل ، وبدأ الشرح ، اللوح ، عملية حسبية فعملية حسابية اخرى ... الاذان صاغية . والعيون مشدودة الى شبابه الريان ، في شرحه طعم الشهد . والتنافس قائم على كد الذهن للفهم . وكم عاود الشرح ، مثنى وثلاث ورباع ، قبل ان ينتقل من مرحلة في الدرس الى اخرى لكي يكون الفهم شاملا .

حرص ، اولا ، علاى تفتح المحاكمة الذهنية في عقولنا . بدأ تعليمه بشرح الارقام الحسابية التي تم التعارف عليها . لماذا اختير الرقم خمسة للعد ؟ فيقال ٥ ـ ١٠ ـ ١٥ ولماذا لا يقول قائل : ٧ـ١٣ـ٢١؟ وللغاية نفسها ، املى علينا فرضا بشأن العد ، لنكتبه تحت اشرافه . وخرج الى البهو ، يرقبنا من الباب والنافذة .

● ●

كنت الاول في صفي . كبر علي ان اكتب ما لا يليق ، فرحت اليه اسأله :

ـ اية فائدة لنا من كتابة هذا الفرض ؟

رفت على شفتيه ابتسامة رقيقة . ولكنه تصنع التعاظم فقطب حاجبيه . قال لي ببساطة فالماء:

ـ لا شأن لك بهذا السؤال .. انا ادرى منك بفائدته واردف بنبرة حازمة

ـ عد الى مكانك

حرنت عن الكتابة . جعلت ادور بعيني فيما حولي . لاحظ ذلك مني فدعاني اليه . خففت اليه كديك مذبوح

ـ لماذا لا تكتب ؟

ـ مثلي لا يكتب هذا الفرض

ـ اذن فانت معاقب بساعتي حبس

وكمن صب عليه سطل من الماء البارد ، عمدت الى النكاية ، فجلست في مقعدي مكتوف اليدين . عز عليه الا اكتب ، فذهب يشكوني الى المدير ، كأم فقدت سيطرتها على ولدها فلجأت الى ابيه . تطلع الي المدير شذرا وافحمني بسؤاله :

ـ الواضعون منهاج الشهادة الثانوية . أأنت افهم منهم ؟

ـ ....

ـ لك مني عقوبة ساعتي حبس ايضا .

غير مجد مناقشة ذى كتفين عريضين . تسربلت بالسكون في مقعدي . غلبني الإنفعال فارتسمت امارات الضراوة على وجهي .. تفرسني المدرس ، فناداني الى البهو . مد يده على مدخل باب الصف فجفلت في حذر ، كمن يتوقع ضربة . استمالني اليه ، بصوت غني النغمة ، بالاصالة الموسيقية

ـ تعال نتنزه .

مشيت معه ، جنب الى جنب . نصحني ، بلهجة حانية ، الا احجم عن الكتابه ، والا جعلته غير مكترث بي ، فيكون حاصل ذلك رسوبي في الشهادة الثانوية .

اورقت كلمات الحلوة ، زنبقا وورداً وريحاناً ، في نفسي . انكببت ، هذه المرة لاعجل في كتابة الفرض ، قبل ان تحين نهاية الوقت المحدد .

● ●

كان شعره الذهبي المتوج ، مرسلا الى ماوراء اذنيه ، فاصبح مقصوصا الا من غرة في المقدمة . الحلاقون يطلقون على هذه القصة اسم الفرشاة . الشعر يسوى بها من غير المشط اكتسح الفضول احد الطلاب :

ـ لماذا قصصت شعرك ؟

انتهره في خبث بريء

ـ اخرج من القاعة

اعترض التلميذ وتصنع الكدر ، دلالا ، مثلما يتصنع الطفل الابتعاد عن ثدي امه . سبحت عينا المدرس بالابتسامة

ـ امتثل لامري وعد بالحال ، لا اطيق ان اراك محروما من الدرس وتضرجت وجنتاه بحمرة قانية .

ـ ان قص شعري كان بسبب نصيحة الطبيب .

ارتسمت على وجوهنا علامات التعجب . الصحة جيدة ، ولا دلالة لاي مرض كان . اضاع علينا فرصة الاستفسار ، فبدأ درسه كالمعتاد . لاشيء احب الينا من درسه ، ولو ان مادة الرياضيات هي اصعب المواد . طبعنا بطابعه : الجد والمرح على حد سواء .

فجأة خيمت غيمة كثيفة فوق المدرسة . كان قد تقصى نصف العام المدرسي . غياب المدرس ، ليوم واحد ، احدث فراغا كبيرا . لاكت الالسن الحديث عنه بالاعجاب والتقدير .

في هذا اليوم بالذات ، كان موعدنا مع فرضه لنكتبه تحت اشرافه . قطع علينا المدير الشك باليقين . واجهنا في الصباح ، وعلى ثغره رواء ابتسامة :

ـ اذا جاءت الساعة العاشرة والنصف ، فساتي اليكم لاختار لكم الفرض ، ووجم وجوما شدايدا قبل ان يقول :

ـ ان معلمكم بالمستشفى في بيروت . وقد انتابه مرض الحمى الدماغية . ويعد العدة لمغادرة البلاد نهائيا ، فما واتاه المناخ ، معاملة سفره لن تنتهي قبل يومين او ثلاثة ، ذلك انه يدرس وهو يقوم باداء الخدمة الالزامية نحو وطنه .

وقع علينا الخبر ، وقوع الصاعقة .. في الموعد المحدد ، اقبل علينا المدير ، في يمينه مغلف ، يحوي اسئلة الفرض ، بخط المدرس ، بعثها في البريد . انكببنا باهتمام ، لكي نحسن الاجابة ، مقابل مثاليته في قيامه بواجبه نحونا . ولم ينقل احدنا عن الاخر ، كلمة واحدة .

● ●

قهقه القدر ، كعفريت ، في اليوم التالي . وبالضبط في الساعة العاشرة والنصف ، موعدنا البارحة مع كتابة الفرض .. رن الجرس ، بدعوة التلاميذ الى اجتماع عام في البهو .

هجس هاجس الخوف في صدورهم . وقفوا امام صفوفهم ، كجنود نظاميين ، واشرأبت اعناقهم نحو المدير ، ضخم الجثة ، الواقف في الصدر : وحوله هيئة التدريس .

تخطفت ابصارهم . ان عينيه حمراوان ووجهه ، كوردة جورية متفتحة . وراعهم ان بعض المدرسين يبكون ، فاطرقوا برؤوسهم ، بانتظار ان يسمعوا ، صوت النذير ران الصمت ، برهة قصيرة ، قبل ان يعلو صوته :

ـ يا اولادي

ثم في خفوت ، وهو يشرق بالدمع

ـ مات معلكم ـ ايسورا ـ

اجتاح الجميع شعور من الرهبة والقلق والاشفاق ، حيال طبيعة الموت الغامضة وطفحت القلوب بالحزن ، فاحتقنت الوجوه بالدم ، واغتسلت بالدموع ..

وكانت مناحة التلاميذ لفقد مدرسهم الحبيب !! .

مصياف
مصطفى الخش

رحلة كانت بين الفلسفة والعلم

شاكر عبد الله

نشر الفيلسوف الالماني ــ اتوليبمان ــ قبل حوالي مائة عام ، دراسة عن ــ كانت ــ ختمها بقوله انه لابد من العودة الى افكار ــ كانت ــ .. مكررا هذه العبارة سبع مرات متتالية. ولكن هذه العبارة لا تزال سارية المفعول الى اليوم ، مما يجعل الكثير يعودون بالفعل الى افكار ــ كانت ــ الذي عاش بين عامي ١٧٢٤ ، ١٨٠٤ وكان من بلدة ــ كونيكس بيرج ــ وعرف كأحد مشاهير المفكرين النظريين في علم المنطق . وهكذا يقول الفيلسوف ــ كارل ياسير ــ عن ــ ايمانويل كانت ــ انه الرجل الذي لا يمكن تجاوز افكاره .

ويرى الفيلسوف ــ مارتن هيد يجر ــ في مؤلف ــكانت ــ بعنوان ــ نقد العقل المطلق ــ عملا مبدعا لا تزول جديته ، ويرى الفيلسوف والفيزيائي والعالم البحاثة ــ فريدريك فايس اكر ــ بان العلم الحديث اشبه برجل ينتحر ، اذا امتنع عن التساؤل المنطقي على طراز ــ كانت ــ فلم يدرك ماهي حدوده الفعلية ، ولم يعرض منجزاته بنفسه الى التشكك .

وكان ــ كانت ــ قد خدم العلم في هذا المجال بالذات في وقت مبكر ، عندما طرح الاسئلة المتشككة في نظريات علمية كانت سارية المفعول سريانا تاما ، مثل ــ دافيد هيوم ــ الذي شكك في قدرة حرية الارادة ، والنظرية المتبناة من جانب العالم السويدي ــ ايمانويل فون سفيد نبرج ــ الذي عاش في عالم من الاشباح ، فبنى على ذلك ديانة قائمة بذاتها ووصف ــ كانت ــ ما خلفه بـ ثمانية مجلدات مليئة بالهذيان ــ وفي مكان الافكار المطلقة والتخيلات ، حلت افكار ــ كانت ــ الناقدة للتساؤل عن ــ حدود المعرفة البشرية ــ واختيار الوسائل الموضوعية تحت تصرف الانسان على هذا الصعيد ــ مما ادى الى تحول جذري في الفكر الانساني وكما فعل ــ كوبير نيكوس ــ بتحويل النظرة الى العلاقة بين الشمس والارض فقد حول ــ كانت ــ العلاقة بين المعرفة البشرية والبيئة حول الانسان ولم يعد ينظر الى العالم كعالم قائم بذاته ، بل كما يراه الانسان نفسه . ولا يبقى الامر في حدود ــ تجديد عام ــ للتفكير البشري وقدراته بل كانت ــ فلسفة كانت ــ كما يقول عنها العالم الاجتماعي ــ زيجفريد دريش ــ قائمة على تحرير الانسان ليتمكن من التصرف .. تحريره من كافة القيود التي فرضتها عليه النظرات المختلفة الى ابعاد وجوده وحياته . اما التحرر الذي يعنيه ــ كانت ــ فهو تمكن الانسان من استخدام اهم وسائل الدفع الاجتماعي لديه ، من عقل او ضمير ، بشكل يزداد فعالية باستمرار . والعقل في نظر ــ كانت ــ هو اعلى ما يملكه الانسان من مصادر لتوجيه فكره وكيف ينبغي ان يعمل . ويصبح العقل بذلك ــ كما يقول كانت ــ هو القانون والقوة الدافعة لجعل الانسان يتصرف حسب اقصى ما تمليه عليه ارادته .

ويقر المرء بهذا ـ القانون الاخلاقي ـ للانسان حتى اليوم ، كما هو الحال في علم الاحياء على سبيل المثال؛ حيث يقول البحاثة الاجتماعي ـ جاكوب فون اكسول ـ ان الضمير هو الوسيلة التي تستخدمها الطبيعة ، لدفع الاحياء التي لاتملك حواسا داخلية ما ، الى التصرف بما يتفق ومجموع القوانين الطبيعية ، وهذا هو في الواقع ما يقوله ـ كانت ـ نفسه بتعابير اخرى . وكان الفيلسوف الكبير رجلا قصير القامة لا يزيد طوله على ١٥٧ سنتمرا ، ضعيف البنية. عمل كاستاذ جامعة لمدة اربعين سنة كاملة في ـ كونيكس بيرج ـ ولم يغادر خلالها مسقط رأسه . عاش عازبا مرهف الشعور ، دقيقا في مواعيده الى اقصى حد ، حتى في نزهاته اليومية على الاقدام . ويقال ان سكان كونيكس بيرج ، كانوا يضبطون ساعاتهم حسب مواعيد ظهوره في المدينة . وكان يزري باندفاع بعض معاصريه ، ويتجاوز الثورة الفرنسية لحدود المنطق ، ويرى في طاعة الدولة قانونا اخلاقيا . وكان يتمتع بطبيعة مدينته الهادئة بشكل واضح ، مكتفيا لوقت طويل بمناقشات حيوية غالبا ما امتلات بالدعابات مع اصدقائه في حلقات صغيرة وفي اولى كتاباته القصيرة ، وبلغ من عمره التاسعة والثلاثين عند ظهور اول مؤلف ذي قيمة له بعنوان ـ انتقاد العقل المطلق ـ . وبعد ستة اعوام نشر مؤلفه ـ انتقاد العقل العملي ـ . وبقي هذان المؤلفان اهم مصادر الدوافع الفكرية الاولى لدى ـ كانت ـ فيجد المرء لوحة مكتوبة على ضريحه بعبارة عن المؤلفين تقول : ـ امران يملان النفس راحة واعجابا والخوف مرة بعد اخرى ، كلما تجدد التفكير بهما ، انهما السماء المليئة بالنجوم فوقي ، والقانون الاخلاقي داخلي ـ ان هذه الفلسفة المتواضعة والبعيدة الاثر في نفس الوقت وجدت الاعجاب الكبير لدى الفلاسفة الالمان والاجانب على السواء . فكان الشاعر

ـ فريدريك شيللر ـ يتغنى بالجمال الاخلاقي ، وكان الراهب النمساوي ـ كارل ليونهارد راينهولد ـ يحاول عرض فلسفة ـ كانت ـ بصورة مبسطة مفهومة للعامة . بعد ان فشل الكثيرون في فهم عباراته في البداية . ويرى المرء ذلك لدى الفيلسوف ـ كريستان جرافه ـ عام ١٨٧٢ الذي اقر بان كتاب ـ كانت ـ ـ انتقاد العقل المطلق ـ اصعب من ان يفهمه . ولكن منتقدي ـ كانت ـ لم يدركوا انذاك انه كان مضطرا الى اختراع ـ لغة ـ لفلسفته ، في الوقت الذي كانت فيه الثروة اللفظية الفلسفية فقيرة للغاية . وما كان في ذلك الحين مستعصيا على الفهم ، كان في الواقع قمة ما توصل اليه ـ كانت ـ كما كان اثارة لدهشة عقول المدارس الفلسفية القديمة . ومقابل هذا ـ التعقيد ـ لدى الفلاسفة القدماء كان ـ كانت ـ يقول ببساطة ان التعابير التي لا تحمل معنى مفهوما ، هي تعابير فارغة جوفاء . وعلى هذا الاساس لم يكن بحثه بحث المعلم ، بل بحث العالم الطبيعي . وهذا ما تبرهن عليه بعض الاكتشافات العلمية الطبيعية المذهلة . وهكذا ازال ـ كانت ـ الضباب العلمي المحيط بما يسمى ب ـ شارع الحليب ـ اي المجرة في علم الفلك ، قائلا انه مجموعات من النجوم ، وفي اطار فلسفته الدينية كان تفكير ـ كانت ـ محدد المعالم الى درجة الملك البروسي نفسه يفهم ما يرد . وقد ازعج الملك انذاك قول ـ كانت ـ ان كل ما يحاوله المرء للخروج من التحول الطبيعي الجيد للانسان بدعوى ارضاء الاله ، ليس الا جنونا دينيا ، يريد به استكمال العمل الالهي . وبدأ الضغط على ـ كانت ـ وقد بلغ السبعين من عمره ، بوصفه ـ ثائرا ـ ومطالبته بتجنب كل كلمة او خطاب علني ، يتضمن حديثا عن الدين .

ومنذ عهد ـ كانت ـ بدأ التهكم على من يحاول البرهان على وجود الاله ، بالوسائل العلمية . ويعتبر ـ كانت ـ في تصوره العملي عن ـ ما وراء التقاليد ـ اول من اوضح ، ان العقل وبرامجه الفكرية ليست المجال المختص بالايمان . فهو يقول حول ذلك: ـ علي ان ازيل العلم ، لافسح المجال للايمان ـ .

ولم يزل هذا الاستعداد لوضع العلم موضع التساؤل فيما يتعلق بمثل هذه الامور . والواقع كما يقول البحاثة ـ فريد ريك فايس اكر ـ ان طريقة ـ كانت ـ في اعادة النظر بطرق البحث العلمي بدات الان تحتل مكانتها في اطار العلوم الطبيعية نفسها .

ـ اعـداد ـ
شاكر عبد الله

رسائل الاصدقاء

الشاعر المجدد الكبير والاديب المشهور الاستاذ :
محمد حسن عواد
ـ جده ـ

● **تحية العروبة الاصيلة والادب الرفيع والشعر الجميل ...**

أما بعد :

هاهو ديوانك الشعري ـ ديوان العواد ـ الجزء الاول ، يرفل أمامي بقصائده الجميلة والجذابة ، ومقطوعاته الفريدة الممتازة ، وأغنياته العذبة الشيقة ، وأشعاره الفلسفية الجمالية العميقة .. يرفل، فتنفتح مغاليق الروح ـ بعد قراءته ـ على التسابيح، ويحرض الخيال ـ بعد تلاوته ـ للرحيل الى عوالم سحرية مفعمة بالمتعة الفكرية والسعادة النفسية .. كما ومشحونة بالايحاءات الجمالية الملونة والابعاد الوجدانية المرهفة ، كل ذلك في أسلوب عربي مشرق وديباجة فصيحة مغرية ، وسبك محبب مطبوع ينم عن ذوق رفيع ، وحس صاف رزين ، وشعور رقيق ودقيق وعذب .. الى جانب معاناة انسانية صادقة ، وتجارب مارستها بشجاعة وتعب ونضال طوال سني حياتك التي أرجو من الله سبحانه ان تطول ـ تلك الحياة الى ما يشاء الله العلي القدير ..

وبدءا من تدوينك لاول بيت او شطر شعري جميل خفق له قلبك الشاعر العامر بالايمان والثقة والحب والخير والجمال ، الى اخر قطعة او اغنية طمأنتك ورضيت عنها فغنيتها لعاشقي فنك وأدبك وقصيدك في هذه الايام والى ما بعد هذه الايام ـ انشاء الله ـ أخي الشاعر العزيز ، اتمنى لك العزة والسؤدد والمكان العالي ..

ان الكتابة عن شعرك تقديما و تحليلا وتقويما قد لا تفي في رسالة مقتضبة كرسالتي هذه المتواضعة، وقد لا تعني شيئا. وبالتالي قد لا تلم بانتاجك الادبي الفني بالمعاني الثري بالصور، الشامل لاكثر من موضوع حياتي وجداني جمالي ، فلسفي ـ ووضع اجتماعي او قومي او وطني او ديني او انساني .. فاعذر لقلمي الصغير تقصيره اذن ، الان ، فأنت انتجت شعرا جيدا عالج مختلف القضايا الحياتية الشاملة ومواقفها .. تلك التي مرت بالانسان العربي ـ او هو مر بها ـ في بلادك العربية والاسلامية المترامية الاطراف عبر مسيرة نصف قرن من الزمن ، بدءا من مطالع القرن الحالي الميلادي ، ناضل هذا الانسان ـ فيها وخلالها نضالا مريرا وقاسيا وصعبا ضد قوى الاضطهاد والاستعمار والتجزئة والاحتلال ، وضد القهر والفقر والتسيب والتسلط والعبودية والتخاذل والجشع .. !؟ وما قصائدك المنتشرة في هذا الجزء الاول من ديوانك الذي خرج الى الساحة العربية الادبية في هذا العام ١٣٩٨ هـ و ١٩٧٨ م عن مطبعة نهضة مصر ـ الفجالة في القاهرة ـ اقول قصائدك ، الا البرهان القاطع والدليل المؤكد على تلك المعالجات المختلفة لقضايا الانسان العربي المعاصر والحديث وهمومه في التحرير والانفتاح والانطلاق باتجاه الوحدة العربية الشاملة وباتجاه العصر الحديث ومواكبة الحضارة القائمة ، وباتجاه تقدمها ومبتكراتها المذهلة .. حتى انني اذا حاولت ـ هنا ـ تعداد القصائد التي تخدم في مدلولاتها وايحاءاتها ومعانيها ما أشرت اليه لاحتجت الى صفحات وصفحات .. ولكنني اذكر منها الان ـ على سبيل المثال لا الحصر : قصيدة، وجوه ، وحدة العرب ، جنون الناقدين ، قطر يفيق، حب الوطن ، نحو النور ، مكارم الاخلاق ، بلاد العزم .. ـ وهذه من المجموعة الاولى ـ آماس واطلاس ـ ثم : قصائد : نشأة ، شتان، خالد بن الوليد متى ، ، كبرياء ، خطوة الى الاتحاد العربي ، التي نظمتها أنت على طريقة الشعر الحديث ـ شعر التفعيلة ـ كما يسمونها اليوم ـ وذلك في العام ١٣٤٣ هـ الموافق سنة ١٩٢٤ م ـ وقصائد : بلادي ، داعي الوئام ،

القضاء ــ وهذه من المجموعة الثانية ــ البراعم ــ بقايا الاماس ــ ثم قصائد : انا والليل ــ وهي من اشكال الشعر الحديث ايضا والتي نشرتها ــ كما ذكرت ــ عام ١٣٥٣ هـ الموافق ١٩٣٣ م ــ والمثل الاعلى ــ وهي من شعر التفعيلة ، وهكذا الدول ــ نشيد عسكري ــ وغيرها .. ــ وهذه من المجموعة الثالثة ــ نحو كيان جديد ــ والتي قلت فيها : انه العهد الذي يبدأ من الواحدة والعشرين ، انه عهد اتجهت فيه ــ نفسي ــ الى حياة فنية اخرى ، الى كيان ادبي جديد ، املته الحياة داخل النفس وخارجها .. ــ .

هذا ، ولست آت بجديد أخي الشاعر الكبير فيما اذا صرحت ــ هنا ــ بأنك اول من نفخ في الشعر العربي الحجازي خاصة والشعر في المملكة العربية السعودية عامة روح التجديد والحداثة منذ العشرينات، واضفيت على هذا الشعر أبراد اليفاعة والشباب ، وأدخلت في تلافيفه الفن الشعري الجديد وموسيقاه الناعمة العالية .. فقد سبقني الى هذا القول او مثله كثيرون لهم مكانتهم وشهرتهم الادبية في الوطن العربي وفي المهجر ، منهم : المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي ــ رئيس جمعية ابولو ــ الشعرية المعروفة والاساتذة: محمود عارف ومحمد عالم الافغاني واحمد عبد الغفور عطار .. !

واني وان كنت اكتب اليك اليوم من دمشق ــ الصمود والنضال ، حول هديتك لي ــ ديوان العواد ــ هذه الكلمات المتواضعة المختصرة اعجابا بشعرك العذب الطلي والمجدد ، وتقديرا لشخصك العربي الاصيل الذي أحببته ــ دون أن أراه ــ منذ زمن ليس بالقصير .. ووفاء لمن هو وفي حقا ومخلص حقا ، واخ كريم من سلالة كريمة .. فلأني وجدت الشعر فيك شاعرا اصيلا .. ولمست الانسان فيك انسانا كادحا عصاميا مخلصا لامته وآدابها وقضاياها المصيرية ، ونضالها العادل في التحرير واعادة الارض الى اصحابها الحقيقيين ... والى لقاء ...

دمشق ــ ٢١ ذو القعدة ١٣٩٨ هـ
٢٣ تشرين الاول ــ اكتوبر ــ ١٩٧٨م
اسماعيل عامود
ــ عضو اتحاد الكتاب العرب ــ

الاديب الشاعر الاستاذ
حسين علي محمد ــ ديرب نجم ــ الشرقية

●

تحية القلم الحر والشعر الصادق :

ــ كتابك الصغير في حجمه ، الكبير في غايته ، الواسع في موضوعه عن ــ عوض قشطة ــ هذا الشاعر المطبوع الذي عمل ــ بقالا ــ وبالوراثة عن والده المرحوم : الحسيني محمد قشطة ــ ١٨٩٥ ــ ١٩٥٣ ــ ولا يزال .. في ــ تمى الامديد ــ دقهلية ــ ، هذا الكتاب ــ الدراسة ، عن حياة وشعر الشاعر قشطه أثار في نفسي الدهشة والاعجاب.. الدهشة لحياة ــ عرض ــ الخاصة وشخصيته المتميزة وتعامله مع الشعر وهو بعيد عن المجتمعات الادبية ومجالسها ، ومدارسها الحديثة .. والاعجاب بتناولك موضوع هذا الانسان المكافح ــ عبر مسيرته الحياتية والمعيشية منذ ولادته في ــ ٢٢ سبتمبر ــ ايلول ــ عام ١٩١٨ ــ والى اليوم ــ تناولا جيدا كشف للقارىء العربي ان في شعبنا قدرات وامكانيات يستأهل عليها اصحابها كل تقدير وتشجيع واحترام ، وان مجهولين افذاذا لو ساعدتهم الظروف الاقتصادية والاجتماعية لظهروا بأحسن حال واعلى مقام .. ولكن وضعهم الصعب والسيىء الذي توضعوا فيه او كانوا .. حجب عنهم الظهور ووقف حائلا بينهم وبين الشهرة ، وبالتالي تركهم على وضعهم ، فلم يستطيعوا ان ينشطوا ... اما بضيق ذات يدهم ، واما لعقدة نفسية او اجتماعية او اقتصادية ظلت تراوح في نفوسهم فلم يتمكنوا من الانفكاك منها لاسباب معينة تخصم وحدهم .. واما لوضع حياتي يتعلق بموقفهم الخاص من الوجود .. واما لتجربة ما قاسية ومريرة مروا بها ارغمتهم على اتخاذ وضع معين وسلبي منها فلم يرغبوا بتجاوزها الى تجارب اغنى واوضح ــ لا ندري .. ولكن لو سنحت لهم الفرص وخدمتهم الظروف الملائمة كما سنحت وخدمت غيرهم من المشهورين لكانوا اعطوا .. وقدموا اشياء قد تكون بمستوى ما قدم اترابهم من المشهورين ، ان لم نقل اكثر واعلى .. ولكن .. ؟؟

انك ياصديقي حسين استطعت بقلمك السلس وفكرك البعيد المدى ، وطريقتك الجيدة الواضحة ان تضع هذا الانسان المكافح امام بصرنا شاعرا له رسالته في الحياة ، كما وله همومه الادبية التي لو تعمق في سبر اغوارها ـ احدنا ، لظهرت له في تضاريسها تجارب انسانية في لغة خفيفة واسلوب غير معقد ، وصياغة غير متكلفة.. فالشاعر ـ عوض قشطة ـ كما عبرت ودللت أنت عليه في كتابك عن حياته وشعره ، ذلك الكتاب الذي أهديتني منه نسخة جميلة يوم ـ ١٥ ـ ٤ ـ ١٩٧٨ ووصلتني عن طريق صديقنا الاديب الشاعر : ـ مصطفى النجار ـ في حلب الشهباء ـ بواسطة البريد ـ لا يقل ـ واعني عوض ـ شأنا عن باقي الشعراء من أبناء جيله في الوطن العربي الكبير من الوجهة الوجدانية والقومية والدينية ، وتناوله للموضوعات والقضايا والاحداث التي مرت بها الامة العربية منذ فجر النهضة حتى السبعينات الجارية وحرب تشرين ـ اكتوبر ـ التحريرية .. كل ذلك باسلوبه الشعري البسيط ، وصياغته الساذجة الفطرية ، وادواته اللغوية القليلة ، وبالتالي ، بأشكال النظم التقليدية ـ أو قل ببعض تلك الاشكال ـ ثم ببنائه المتواضع غير المجهد .. بحيث لو تسنى لزميلنا ـ عوض ـ الفرص المواتية ، والامكانيات البيئية الحديثة ـ والمعاصرة ، لجاء عطاؤه الشعري بمستوى افضل ، ولتقدم اكثر .. بيد ان هذا لا يلغيه كشاعر وفنان استطاع ان يعبر بصدق عن تجاربه بلغة عربية لا تحتاج الى قاموس لمراجعة معانيها ، وبموسيقا شعرية سليمة لا خلل فيها ولا شوائب .. ذلك لان الينابيع الادبية التي نهل منها ثقافته هي ينابيع عظيمة وخالدة ـ القرآن الكريم ـ الحديث الشريف ـ ثم تلك المؤلفات العربية الشعرية الشامخة كأشعار ، امرىء القيس ، والمتنبي ، وأبي العلاء في العصور القديمة ، ثم البارودي وشوقي وحافظ ومطران في العصر الحديث ، كل ذلك الى جانب الدوريات الغراء التي كانت تصدر في الثلاثينات والاربعينات كالرسالة ، والثقافة ، والمقتطف وغيرها . الا ان شاعرنا ـ قشطة ـ وهذا رأيي الخاص أقوله هنا في هذه الرسالة المتواضعة ـ لم يتمثل شعر هؤلاء الشعراء الافذاذ حق تمثيل ، او انه لم يجلس اليهم جلسة التلميذ المواظب ـ وكم من تلميذ فاق استاذه ـ والناقد معا ليتمكن من استيعاب فنونهم الشعرية ، ومعرفة سر طموحاتهم الادبية وشدة معاناتهم وبالتالي قوة ابداعاتهم النافذة والتي نفذت بالفعل الى الفكر الادبي والفلسفي والاجتماعي ، فصبغته بشؤونها وشجونها وادخلت فيه من شحناتها الكثيرة الفعالة ما رفعها ودفعها الى دنيا البقاء جيلا بعد جيل وستبقى ما دامت الحياة على الارض ... عصب الشعر العربي النابض المتين ، وروح القول الدائم العذب .. ولكنني اسجل ـ هنا ـ لشاعرنا ـ عوض قشطة ـ كل تقدير واعجاب لما انطوى عليه من وفاء واخلاص وصدق لشعره العذب السلسبيل ايضا :

« ما ان رأيت مليحة في خدرها
الا وقلت تبارك الخلاق »
« ما كل من يهوى الملاح بعاشق
حتى ولو لعبت به الاشواق »

ما أعذب هذه الـ ـ لعبت ـ هنا يا صديقي حسين .. انها من الشعر في مكان جميل ، وعال ، وعذب ..

« نغم سرى في مهجتي
لا شيء فوق عروبتي »

هذا البيت فيه اختزال رائع لجميع المقولات والفلسفات والايديولوجيات الراهنة لتفسير معاني وأبعاد ـ العروبة ـ عند الشاعر ، وكلمة ـ لاشيء ـ هنا اختصرت كل شيء عداها ، والمرحوم احمد شوقي اختصر جميع مغريات الدنيا في حب قيس لليلى العامرية ـ في مسرحية مجنون ليلى ـ عندما قال على لسان قيس في احد مواقف المسرحية :

« ... ليلى بجانبي
كل شيء اذن حضر »

فماذا ـ اذن بعد عروبة ـ قشطة ـ وبعد ـ ليلى ـ قيس ـ لشوقي .. لا شيء ، فانطلاقا من مثل هذه التعابير البسيطة المكثفة وغيرها في شعر ـ عوض ـ قرأت أشعاره فأعجبت بها ، لصدقها :

« ولست مفاخرا بالشعر يوما
فقد سبق الألى فيه وجدوا »

و ــ « عش في الحقيقة واتئد
ودع الخرافة والخيال »

« خذ من حياتك حرفة
تغنيك عن ذل السؤال »

أجل ، انها الدعوة الى العمل الشريف ، وما أنبلها من دعوة يا عزيزي ، ان الشباب العربي المعاصر في هذه الظروف الصعبة الراهنة لشديد الحاجة الى العمل المثمر كي يلحق بركب الحضارة المعاصرة وليستحق مكانا تحت الشمس . .

ــ تحياتي القلبية وتقديري الكبير لعوض قشطة ــ الشاعر الانسان . وللاخ حسين علي محمد المحبة والشكر . . والى لقاء . .

اسماعيل عامود

دمشق ٥ــ١١ــ١٩٧٨م
٤ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ

سيدي الاخ العلامة ، الاستاذ

حسان الكاتب المكرم !

تحية خالدة وبعد ،

سعدت بقراءة رسالتك ، التي تفيض نبلا ، وكرما ، منشورة في مجلة (الثقافة) لصاحبها ، اخينا ، الاستاذ ــ مدحة عكاش ــ ، في عددها البارز في شهر تشرين الاول ١٩٧٨ ، تهنئني فيها ، بما نلته من مكارم صاحب الجلالة الهاشمية ، (الحسين) العظيم ، لمناسبة يوبيله الفضي ! . .

● ●

ان ما جاد به جلالته علي ، من تكريم ، هو تكريم للفكر الاردني ، وهو دليل على ما وهب الله لجلالته من عبقرية ، والمعية ، واهتمام بالفكر وباهله ، لا يصرفه عن ذلك ، ما يبذل في سبيل العروبة من جهود ، مخلصة ، صادقة ، في احوال ، تكاد تكون ، تجربة للملائكة ! . .

● ●

مزية ، يرثها ــ غير مخير ــ في دمه الشريف ، من اليوم الذي سن فيه جده الاعظم ، ــ محمد ــ صلعم ــ فدية الاسير علما . الى ان توارث خلفاؤه الكرام ، تكريم العلم واهله ، بوزن مؤلفاتهم ، ومترجماتهم ، ذهبا ، وبجوائز للشعراء ، كان منها ، ان يملأ فم الشاعر المجيد جواهر ، لا تقوم بثمن ! . .

● ●

ان اثباتك هذا التكريم في ترجمتي،التي سجلتها في موسوعتك الموجزة البارعة ، برهان ساطع ، على ما جبلت عليه من خلق كريم ، والخلق الكريم ، اعظم نعمة يسبغها الله ، على من يحب ! . .

ومكرمة صاحب الجلالة المفدى،وعاطفتك النبيلة، هما عندي ، تعويض عادل ، عن كل ما لقيت في رحلة الحياة الشاقة من معاكسات، حتى يوم واجهت الائتمار بي لقتلي لقولي الحقيقة، تعويض عادل،عن كل الضحايا النفسية ، التي لم تستطع ان تصرفني عن مبدأي . فما ندمت ، ولا جبنت ، ولا توخيت الا رضى الله ورضى ضميري .

حرسك الله ، وابقاك زخرا للعلم ، ولمكارم الاخلاق .

باخلاص
روكس بن زائد العزيزي ــ الاروف